

كحل العين بأخبار النبي الزّين

تصنيف طه محمد الخير

رسالة المُصنِّف

اعْلَمْ أَيُّهَا الْمُحِبُّ لِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ الْبَاحِثِ عَنْ تَفْاصِيلِ جُمَلِ قَدْرِهِ الْعَظِيمِ أن سيرة الرسولﷺ أكمل السير كما كانت أجملها, وهي مؤسسة على النصوص القرءانية ووثائق تاريخية ووثائق من الخَلق والخُلُق, وتفاصيل العادات والعبارات والأخلاق والمعاملات.

حصرت الكلام في هذه الرسالة في خمسة أقسام, أفردت الرسالة للحديث عن شمائل النبي الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم, وأخلاقه الكريمة, وسجاياه الحميدة, من رحمة, وحلم, وتواضع, ولين جانب, وكرم, وبر, وإيثار, وشجاعة, ونجدة, وصبر, وصدق, وأمانة, ووفاء. أسميته "كحل العين بأخبار النبي الزين", جعله الله مقبولًا مباركًا, وسببًا للمغفرة والعتق من العذاب لمصنّفه أصغر عباده وأحوجهم إلى مغفرته وعفوه ورضاه طه محمد الخير.

المقدمة

الحمد لله المتفرد باسمه الأسمى، المختص بالعز[1] الأحمى[2] الَّذِي لَيسَ دُونَهُ مُنْتهى وَلا وَرَاءُهُ مرمى، الظاهر لا تخيلاً ولا وَهما، الباطن تقدسًا لا عدما، وسع كل شيء رحمة وَعِلما، وَأَسْبَغَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ نِعَما عُما، وَبَعَثَ فيهم رسولاً من أَنْفُسِهِمْ عُرْبًا وَعُجْما، وَأَزْكَاهُمْ[3] مُحْتِدًا وَمنمى، وَأَرْجَحَهُمْ عَقْلا وَحِلما، وَأَوْفَرَهُمْ عِلما وَفَهْما وَأَقْوَاهُمْ يَقِينًا وعزما، وأشدهم بهم رأفة ورحما، وزكّاه رُوحًا وَجِسْما، وَحَاشَاهُ عَيْبًا وَوَصمًّا، وَآتَاهُ حِكْمَةً وَحُكْما وَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَقلُوبًا غُلفًا وَآذَانًا صُما، فَآمَنَ بِهِ وَعَزَّرَهُ وَنَصَرَهُ مَنْ جعل الله له في مغنم السَّعَادَةِ قِسْما، وَكَذَّبَ بِهِ وَصَدَفَ عَنْ آيَاتِهِ مَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الشَّقَاءَ حَتْما، وَمنْ كَانَ فِى هَذِهِ أعْمى فَهُوَ فِى الآخِرَةِ أعمى, صلاة الله على رسوله صلاة تنمو وتنمى وعلى آله وصحبه وَسَلَّم تَسْلِيما .

لا خَفاء عَلَى منْ مارَسَ شَيْئًا مِنَ العِلمِ، أَوْ خُصَّ بِأَدْنَى لَمْحَةٍ مِنَ الفَهْمِ، بِتَعْظِيمِ اللَّهِ قَدْرَ نَبِيّنَا ﷺ، وَخُصُوصِهِ إياه بِفَضَائِلَ وَمحَاسِنَ وَمنَاقِبَ لا تَنْضَبِطُ لِزِمامٍ، وَتَنْوِيهِهِ مِنْ عَظِيمِ قَدْرِهِ بِما تَكِلُّ عَنْهُ الألسِنَةُ وَالأَقْلامُ؛ فَمِنْهَا ما صَرَّحَ بِهِ تَعَالَى فِي كتابه، ونبّه به على جليل نصابه، وأثنى به عَلَيْهِ مِنْ أَخْلاقِهِ وَآدَابِهِ، وَحَضَّ العِبَادَ عَلَى التزامه وتقلّد إيجابه. فَكَانَ جَلَّ جَلالُهُ هُوَ الَّذِي تَفَضَّلَ وَأَوْلَى، ثُم مدحَ بِذَلِكَ وَأَثْنى، ثُم أَثَابَ عَلَيْهِ الجَزَاءَ الأَوْفَى، فَلَهُ الفَضْلُ بَدْءًا وَعَوْدًا، وَالحَمْدُ أُولَى وَأُخْرَى، وَمِنْهَا ما أَبرَزَهُ لِلعِيَانِ مِنْ خَلقِهِ عَلَى أَتَمّ وُجُوهِ الكَمالِ وَالجَلالِ، وَتَخْصِيصِهِ بالمحاسن الجميلة،

---

[1] الأعز: من العزة والعزيز الذي لا يحوم حوله ذل ولا مغلوبية

[2] الأحمى: أفعل التفضيل من حميته حماية، والمحمي المصون

[3] أزْكَاهُمْ: أظهرهم وأنماهم

والأخلاق الحميدة، والمذاهب الكَرِيمةِ، وَالفَضَائِلِ العَدِيدَةِ، وَتَأْيِيدِهِ بِالمُعْجِزَاتِ البَاهِرَةِ، وَالبَرَاهِينِ الوَاضِحَةِ، وَالكَرَامَاتِ البَيّنَةِ الَّتِي شَاهَدَهَا مَنْ عَاصَرَهُ، وَرَآهَا مَنْ أَدْرَكَهُ، وَعَلِمَهَا عِلم يَقِينٍ مَنْ جَاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذَلِكَ إِلَيْنَا ، وَفَاضَتْ أَنْوَارُهُ عَلَيْنَا ﷺ .

أما بعد, أضع بين يدي القارئ الكريم رسالة فيها ذكر ما يستفاد منه من أخبار سيد الرسل أجمعين وحبيب رب العالمين, محمد طه الأمين, عليه وعلى آله أتم الصلاة والتسليم. رسالةٌ نويت تقريبها, ودرّجت تبويبها, ومهّدتُ تأصيلها وخلّصت تفصيلها, وانتحيتُ حصرها وتحصيلها, صنّفتها وأسميتها:

كحل العين بأخبار النبي الزين

أسأل الله العليم القدير أن يجعل هذا العمل مقبولا, وأن يكون سببًا لشفاعة نبيّه وحبيبه محمد يوم العرض والنشور .

حصرتُ الكلام في الرسالة على خمسة أقسام:

القسم الأول: في تعظيم العليّ الأعلى لقدر النبي ﷺ قولاً وفعلاً .

القسم الثاني: في ما حدث أثناء مولده عليه الصلاة والسلام .

القسم الثالث: في وصفه و وصف لباسه ﷺ .

القسم الرابع: في وصف عيشه وأخلاقه ﷺ .

القسم الخامس: في صفات الأنبياء .

القسم الأول

تعظيم العليّ الأعلى لقدر النبي ﷺ قولاً وفعلاً

الفصل الأول

اعْلَمْ رحمك الله أَنَّ فِي كتاب الله عزّ وجلّ آيات كثيرة مفعمة بجميل ذكر المصطفى وَعَدِّ محاسِنِهِ وَتَعْظِيمِ أَمْرِهِ وَتَنْوِيهِ قَدْرِهِ اعْتَمدْنا مِنْهَا عَلَى ما ظَهَرَ معْنَاهُ وَبَانَ فَحْوَاهُ.

قَالَ اللَّه تَعَالَى (وَما أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمةً لِلْعَالَمِينَ) قَالَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمدُ بْنُ طَاهِرٍ: زَيَّنَ اللَّه تَعَالَى مُحَمدٌ ﷺ بِزِينَةِ الرَّحْمةِ فَكَانَ كَوْنُهُ رَحْمةً وَجَمِيعُ شَمائِلِهِ وَصِفَاتِهِ رَحْمةً عَلَى الْخَلْقِ، فمن أصابه شيء منْ رَحْمتِهِ والتزم بتعاليمه فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كُلّ مكْرُوهٍ وَالْوَاصِلُ فِيهِما إِلَى كُلِّ محْبُوبٍ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ (وَما أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمةً للعالمين) فَكَانَتْ حَيَاتُهُ رَحْمةً وَمماتُهُ رَحْمةً كَما قَالَ ﷺ: (حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ ووفاتِي خَيْرٌ لَكُمْ) وَكَما قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :(إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمةً بِأُمةٍ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَها فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا).

قال الله تعالى (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكرك) قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ: هَذَا تَقْرِيرٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ اسْمُهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلَى عَظِيمِ نِعَمِهِ لَدَيْهِ وَشَرِيفِ منْزِلَتِهِ عِنْدَهُ وَكَرَامتِهِ عَلَيْهِ بِأَنْ شَرَحَ قَلْبَهُ لِلإِيمانِ وَالْهِدَايَةِ وَوَسَّعَهُ لِوَعْيِ الْعِلْمِ وَحَمْلِ الْحِكْمةِ وَرَفَعَ عَنْهُ ثِقَلَ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ عَلَيْهِ وَبَغَّضَهُ لِسَيْرِهَا وَما كَانَتْ عَلَيْهِ بِظُهُورِ دِينِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَحَطَّ عَنْهُ عُهْدَةَ أَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ لِتَبْلِيغِهِ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَتَنْوِيهِهِ بِعَظِيمِ مكَانِهِ وَجَلِيلِ رُتْبَتِهِ وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ وَقِرَانِهِ معَ اسْمِهِ اسْمهُ، قَالَ قَتَادَةُ: رَفَعَ الله تعالى ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلَا مُتَشَهِّدٌ وَلَا صَاحِبُ صَلَاةٍ إِلا يَقُولُ أَشْهَدُ أن لا إله إلا الله وأن محمدا رَسُولُ اللَّهِ. وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ الله عنه أن النبي ﷺ قَالَ: (أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ: تَدْرِي

كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معِي) قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: جَعَلْتُ تَمام الْإِيمانِ بِذِكْرِكَ معِي، وَقَالَ أَيْضًا: جَعَلْتُكَ ذِكْرًا مِنْ ذِكْرِي فَمنْ ذَكَرَكَ ذَكَرَنِي.

قَالَ جلَّ اسْمُهُ (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إذا سجى)، اخْتُلِفَ فِي سَبَبِ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ فَقِيلَ كَانَ تَرْكُ النَّبِيِّ ﷺ قِيَام اللَّيْلِ لِعُذْرٍ نَزَلَ بِهِ فَتَكَلَّمتِ امْرَأَةٌ فِي ذَلِكَ بِكَلَامٍ وَقِيلَ بَلْ تَكَلَّم بِهِ المُشْرِكُونَ عِنْدَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَنَزَلَتِ السُّورَةُ.

قَالَ الْفَقِيهُ الْقَاضِي رحمه اللَّهُ تَعَالَى: تَضَمنَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مِنْ كَرَامةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ وَتَنْوِيههِ بِهِ وَتعظِيمِهِ إيَّاهُ سِتَّةَ وُجُوهٍ: الأَوَّلُ الْقَسَمُ لَهُ عَما أَخْبَرَهُ بِهِ مِنْ حَالِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إذا سجى) أَيْ وَرَبِّ الضُّحَى وَهَذَا مِنْ أعْظَمِ دَرَجَاتِ المبَرَّةِ، الثَّانِي بَيَانُ مكَانَتِهِ عِنْدَهُ وَحُظْوَتِهِ لَدَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلَى) أَيْ ما تَرَكَكَ، الثَّالِثُ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَللآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأولى) قال ابن إسحق أَيْ ما لَكَ فِي مرْجِعِكَ عِنْدَ اللَّهِ أعْظَمُ مِما أعْطَاكَ مِنْ كَرَامةِ الدُّنْيا، وَقَالَ سَهْلٌ: أَيْ ما ادَّخَرْتُ لَكَ مِنَ الشَّفَاعَةِ وَالْمقَامِ المحْمُودِ خَيْرٌ لَكَ مِما أعْطَيْتُكَ فِي الدُّنْيا، الرَّابِعُ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ ربك فترضى) وَهَذِهِ آيَةٌ جَامِعَةٌ لِوُجُوهِ الْكَرَامةِ وَأَنْوَاعِ السَّعَادَةِ وَشَتَاتِ الْإِنْعَامِ فِي الدَّارَيْنِ وَالزِّيَادَةِ، قَالَ ابْنُ إسحق يُرْضِيهِ بِالْفُلْجِ[4] فِي الدُّنْيا وَالثَّوَابِ فِي الآخِرَةِ وَقِيلَ يُعْطِيهِ الْحَوْضَ وَالشَّفَاعَةَ.

---

[4] الفلج : بفتح الفاء وتسكين اللام أي الظفر والفوز

الفصل الثاني

لَا خِلافَ أَنَّهُ ﷺ أَكْرَمُ الْبَشَرِ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدم، وَأَفضَلُ النَّاسِ منْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ، وَأَعْلاهُمْ دَرجَةً، وَأَقْرَبُهُمْ زُلْفَى.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيم إِسْماعِيلَ وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْماعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ) وَمِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَم عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ" وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "أَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَلا فَخْرَ" وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا عَنْهُ ﷺ أنه قال: "أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ قَلَّبْتُ مشَارِقَ الْأَرْضِ وَمغَارِبَهَا فَلَمْ أرَ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمدٍ وَلَمْ أرَ بَنِي أَبٍ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ" وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ بِمُحَمدٍ تَفْعَلُ هَذَا؟ فَما رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ، فَارْفَضَّ[5] عَرَقًا.

روى أَبُو ذَرٍّ وَابْنُ عُمرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: (أُعْطِيتُ خَمْسًا – وَفِي بَعْضِهَا سِتًّا – لَمْ يُعْطَهُنَّ إنسيٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مسْجِدًا وطهورا فَأَيُّما رَجُل مِنْ أُمتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِنَبِيَّ قَبْلِي وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَأُعطِيتُ الشَّفَاعَةَ) وَفِي رِوَايَةٍ بَدَلَ هَذِهِ الْكَلِمةِ: (وَقِيلَ لِي سَلْ تُعْطَهْ).

عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول اللَّهِ ﷺ: (أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، لِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي وأنا أكرم ولد آدم على ربي وَلَا فَخْرَ)

وَعَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "أنا سَيّدُ ولدِ آدم يَوْم الْقِيَامةِ وَأَوّلُ من يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّع", وَعَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللَّه عَنْهُما: (أَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْم الْقِيَامةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وأول مشفع ولا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ من يُحَرِّكُ حَلَقَ الْجَنَّةِ فَيُفْتَحُ لِي فَأَدْخُلُهَا فَيَدْخُلُهَا معِي

[5] فَارْفَضَّ: أي جرى عرقه وسال، ثم سكن وانقاد

فُقَرَاءُ المُؤْمِنينَ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَلَا فَخْرَ) وَعَنْ أَنَسٍ: (أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبعًا)

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْم الْقِيَامةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ من أنْتَ فَأَقُولُ مُحَمدٌ فَيَقُولُ بِكَ أُمْرِتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لأحَدٍ قَبْلَكَ) وَعَنْ عَبْد اللَّه بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (حَوْضِي مسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ وَماؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ كِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّماءِ منْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمأْ أَبَدًا) وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ نَحْوَهُ وَقَالَ طُولُهُ ما بَيْنَ عُمانَ إِلَى أَيْلَةَ يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ, وَعَنْ ثَوْبَانَ مِثْلُهُ وَقَالَ أَحَدُهُما مِنْ ذَهَبٍ وَالآخَرُ من وَرِقٍ، وَفِي رِوَايَةِ حَارِثَةَ بن وَهْبٍ كَما بَيْنَ المدينة وصنعاء.

القسم الثاني

في ما حدث أثناء مولده عليه الصلاة والسلام

الفصل الأول

نذكر ما ظَهَرَ مِنَ الآيَاتِ عِنْدَ موْلِدِهِ وما حَكَتْهُ أُمُّهُ وَمنْ حَضَرَهُ مِنَ الْعَجَائِبِ وَكَوْنُهُ رَافِعًا رَأْسَهُ عِنْدَما وَضَعَتْهُ شَاخِصًا بِبَصَرِهِ إِلَى السَّماءِ وَما رَأَتْهُ مِنَ النُّورِ الَّذِي خَرَجَ معَهُ عِنْدَ وِلادَتِهِ وَما رَأَتْهُ إِذْ ذَاكَ أُمُّ عثمان ابن أَبِي الْعَاصِ من تَدَلّي النُّجُومِ وَظُهُورِ النُّورِ عند ولادته حتى ما تنظر إلا النور, وقول الشفا أم عبد الرحمن بن عوف: لما سقط ﷺ على يدي وَاسْتَهَلَّ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ رَحِمكَ اللَّهُ وَأَضَاءَ لِي ما بَيْنَ الْمشْرِقِ وَالْمغْرِبِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى قُصُورِ الرُّومِ. وَما تَعَرَّفَتْ بِهِ حَلِيمة وَزَوْجُهَا ظِئْرَاهُ من بركته و درور لبنيها لَهُ وَلَبَنِ شَارِفِهَا وَخِصْبِ غَنَمِهَا وَسُرْعَةِ شَبَابِهِ وَحُسْنِ نَشْأَتِهِ وَما جَرَى مِنَ الْعَجَائِبِ لَيْلَةَ موْلِدِهِ مِنَ ارْتِجَاجِ إِيوَانِ كسْرَى وَسُقُوطِ شُرُفَاتِهِ وَغَيْضِ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّة وخمود نار فَارسَ وَكَانَ لَهَا أَلْفُ عَامٍ لَمْ تَخْمدْ وَأَنَّهُ كَانَ إِذَا أَكَلَ معَ عَمّهِ أَبِي طَالِبٍ وَآلِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ شَبِعُوا, وَرَوُوا فَإِذَا غَابَ فَأَكَلُوا فِي غَيْبَتِهِ لَمْ يَشْبَعُوا وَكَانَ سَائِرُ وَلَدِ أَبِي طَالِبٍ يُصْبِحُونَ شُعْثًا وَيُصْبحُ ﷺ صقلا دهينا كَحِيلًا قَالَتْ أُمّ أَيْمنَ حَاضِنتُه: ما رَأَيْتُهُ ﷺ شكى جُوعًا وَلَا عطَشًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا. وَمِنْ ذَلِكَ حِرَاسَةُ السَّماءَ بِالشُّهُبِ وَقَطْعُ رَصَدِ الشَّيَاطِين وَمنْعُهُم اسْتِرَاقَ السَّمْعِ وَما نَشَأَ عَلَيْهِ من بُغْضِ الْأَصْنَامِ وَالْعِفّةِ عَنْ أُمُورِ الجاهلية. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ حَلِيمةَ رأت غمامة تظله وَهُوَ عِنْدَهَا، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ أَخِيهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ. وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ قَبْلَ مبْعَثِهِ تَحْتَ شَجَرَةٍ يَابَسَةٍ فَاعْشَوْشَبَ ما حَوْلَهَا وَأَيَنَعَتْ هِيَ فَأَشْرَقَتْ وَتَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَغْصَانُهَا بِمحْضَرِ من رآه وميل فَيْءِ الشَّجَرَةِ إِلَيْهِ وَأَنَّ الذُّبَابَ كَانَ لَا يَقَعُ عَلَى جَسَدِهِ وَلَا ثِيَابِهِ.

قالَ بَعْضُ العُلَماءِ مِمَنْ أَلَّفَ فِي قِصّةِ المَوْلِدِ الشَّرِيفِ: حَملتْ ءامنةُ بِنْتُ وَهْبٍ بِرَسُولِ الله ﷺ عشِيَّةَ الجُمُعَةِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ، وَإن ءامنةَ لَما حَملَتْ بِرَسُولِ الله ﷺ كانتْ تَرَى الطُّيورَ عَاكِفَةً عَلَيْهَا إِجْلالا للذي فِي بَطْنِهَا، وكانَتْ إِذَا جَاءَتْ تَسْتَقي مِن بئرٍ يَصْعَدُ الماءُ إِلَيْهَا إلى رَأْسِ البِئْرِ إِجْلالا وَإِعْظَاما لرسولِ الله ﷺ فَأَخْبَرَتْ بِذَلك زَوْجَهَا عَبْدَ الله فَقَالَ: هَذِهِ كَرَامةٌ لِلمَوْلودِ الذي فِي بَطْنِكِ، قَالَتْ: وَكُنْتُ أَسْمَعُ تَسْبِيحَ الملائِكَةِ حَوْلِي وَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: هَذا نُورُ السيّدِ الرّسولِ ثُم رَأَيْتُ فِي المَنَامِ شجرة وَعَلَيْهَا نُجُومٌ زَاهِرَةٌ بَيْنَهُنَّ نَجْمةٌ فَاخِرَةٌ أَضَاءَ نُورُهَا عَلَى الكُلِّ، وَبَيْنَما أَنَا نَاظِرَةٌ إِلى نُورِهَا وَاشْتِعَالِهَا إذ سَقَطَتْ فِي حِجْرِي وَسَمِعْتُ هَاتفًا يقولُ هَذا النَّبِيُّ السَّيدُ الرَّسُولُ، قَالَتْ ءامِنَةُ: وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ رَأَيْتُ الشُّهبَ تَتَطَايَرُ يَمِيْنًا وَشِمالا، وَرَأَيْتُ المَنْزِلَ قَدِ اعْتَكَرَ عَلَيَّ بأَصْوَاتٍ مُشْتَبِهَاتٍ وَلُغَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ فَأَوْحَى الله تَعَالَى إِلى رِضْوانَ: يَا رِضْوَانُ زَيّنِ الجِنَان، وَصُفَّ عَلَى غُرَفِهَا الحُورَ والوِلْدَان، فَتَبادَرَتْ بزِينَتِهَا الحُورُ الحِسَان، وَأَشْرَفَتْ مِنْ غُرَفِ الجِنَانِ وَأَزْهَرَتِ الأَوْرَاقُ وَالأَشْجَارُ وَالأَغْصَان، وَقَطَرَتْ قَطَرَاتُ الرَّحْمةِ عَلَى أَوْرَاقِ الأَفْنَان، وَاهْتَزَّ العَرْشُ طَرَبًا، وَمالَ الكُرْسِيُّ عَجَبًا، وَخَرَّتِ الملَائِكَةُ سُجَّدًا وَماجَ الثَّقَلان، وأظهر سرّه المَلِكُ الدَّيَّانُ المنزهُ عن السكون والحَرَكَةِ والانتقَال والمكان، تَعَالَى رَبُّنَا ذُو الجَلَالِ.

ثُم إنَّ الله تَعَالَى أَوْحَى إِلَى جِبْرِيلَ أَنْ صُفَّ أَقْدَاحَ رَاحِ الشَّرَاب، لِلْكَوَاعِبِ الأتراب، وانْشُر نوَافِحَ المِسْك الذَّكِيَّةِ، وَعَطّرِ الكَوْن بالرَّوائِحِ الطَّيِّبةِ الزَّكِيَّةِ، وَافرُشْ سَجَّادَةَ القُرْبِ وَالوِصَال، للمُصْطَفَى المُصَلّي فِي مِحْرَابِ الكَمال، وَقِيلَ يَا مالِكُ أغلِقْ أَبْواب النّيرَان، وَصَفّدِ الشَّيَاطِينَ لهبُوط الملائكَة المقَرَّبِين، وَنُودِيَ فِي أَقْطَارِ السَّماوَاتِ فَهَبَطَ الأمِينُ إلى الأرْضِ بِالملَائِكَةِ المقَرَّبِينَ وَقَدْ حَجَبَتْهُمْ سَحَابَةٌ مِنَ الكَافُورِ الأَبْيَض، فَرَجَعَتْ بِرِيَاحِ الرَّحْمةِ مِنْ مجاري سحب الكَرَامةِ تَرْبَض، وَرَفْرَفَتِ الأَطْيَار، وَجَاءَتِ الوُحُوشُ مِنَ القفَار، وَكُلُّ ذَلِكَ بِأَمْرِ المَلِكِ الجَبَّار.

قَالَتْ ءامِنَةُ وَلَمْ يأخُذْنِي ما يَأخُذُ النّسَاء مِنَ الطَّلْقِ إلا أنّي أَعْرَقُ عرَقًا شَدِيدًا كَالمِسْكِ الأذْفَرِ لَمْ أَعْهَدْهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِي، فَشَكَوْتُ العَطَشَ، فَإذا بِملَكٍ نَاوَلَنِي شَرْبَةً مِنَ الفِضَّةِ البَيْضَاءِ فِيهَا شَرَابٌ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَذْكَى رَائِحَةً مِنَ المِسْكِ الأَذْفَرِ، فَتَنَاوَلْتُهَا فَشَرِبْتُهَا فَأَضَاءَ عَلَيَّ مِنْهَا نُورٌ عَظِيمٌ، فَحِرْتُ لذَلكَ وَجَعَلْتُ أَنظُرُ يَمِينًا وَشِمالا وَقَدِ اشْتَدَّ بِيَ الطَّلْقُ، فَبَيْنَما أَنا كَذَلِكَ فَإِذَا أَنَا بِطَائِرٍ عَظِيمٍ أبْيَضَ قَدْ دَخَلَ عَلَيَّ وَأَمرَّ بِجَانِبَةِ جَنَاحَيْهِ عَلَى بَطْنِي وَقَالَ: انْزِلْ يَا نَبِيَّ الله ﷺ فَأَعَانَنِي عَالمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ عَلَى تَسْهِيلِ الوِلادَةِ فَوضَعْتُ الحَبِيْبَ مُحَمدًا ﷺ.

الفصل الثاني

جواز الإحتفال بمولده ﷺ

من البدع الحسنة الاحتفال بمولد رسول الله ﷺ، فهذا العمل لم يكن في عهد النبي ﷺ ولا فيما يليه، إنما أحدث في أوائل القرن السابع للهجرة، و أول من أحدثه ملك إربل وكان عالما تقيًّا شجاعًا يقال له المظفر. جمع لهذا كثيرًا من العلماء فيهم من أهل الحديث والصوفية الصادقين. فاستحسن ذلك العمل العلماء في مشارق الأرض ومغاربها، منهم الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، وتلميذه الحافظ السخاوي، وكذلك الحافظ السيوطي وغيرهم.

وذكر الحافظ السخاوي في فتاويه أن عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة، ثم لا زال أهل الإسلام من سائر الأقطار في المدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم.

وللحافظ السيوطي رسالة سماها "حسن المقصد في عمل المولد"، قال: "فقد وقع السؤال عن عمل المولد النبوي في شهر ربيع الأول ما حكمه من حيث الشرع؟ وهل هو محمودٌ أو مذموم؟ وهل يثاب فاعله أو لا؟ والجواب عندي: إن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس، وقراءة ما تيسر من القرءان، ورواية الأخبار الواردة في مبدإ أمر النبي ﷺ وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبي ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف. وأول من أحدث فعل ذلك صاحب إربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدّين علي بن بكتكين أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد، وكان له ءاثار حسنة، وهو الذي عمر الجامع المظفري بسفح قاسيون".ا.هـ.

قال ابن كثير في تاريخه: "كان يعمل المولد الشريف – يعني الملك المظفر – في ربيع الأول ويحتفل به احتفالاً هائلاً، وكان شهما شجاعًا بطلاً عاقلاً عالما عادلاً رحمه الله وأكرم مثواه. قال: وقد صنف له

الشيخ أبو الخطاب ابن دحية مجلدًا في المولد النبوي سماه "التنوير في مولد البشير النذير" فأجازه على ذلك بألف دينار، وقد طالت مدته في الملك إلى أن مات وهو محاصر للفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة".ا.هـ.

ويذكر سبط ابن الجوزي في مرءاة الزمان أنه كان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية. وقال ابن خلكان في ترجمة الحافظ ابن دحية: "كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء، قدم من المغرب فدخل الشام والعراق، واجتاز بإربل سنة أربع وستمائة فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين يعتني بالمولد النبوي، فعمل له كتاب "التنوير في مولد البشير النذير"، وقرأه عليه بنفسه فأجازه بألف دينار".ا.هـ.

قال الحافظ السيوطي: "وقد استخرج له – أي المولد – إمام الحفاظ أبو الفضل أحمد بن حجر أصلاً من السنة، واستخرجت له أنا أصلاً ثانيًا..."ا.هـ.

فتبين من هذا أن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة حسنة فلا وجه لإنكاره، بل هو جدير بأن يسمى سنة حسنة لأنه من جملة ما شمله قول رسول الله ﷺ: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء" وإن كان الحديث واردًا في سبب معين وهو أن جماعة أدفع بهم الفقر جاءوا إلى رسول الله وهم يلبسون النِّمار مجتبيها أي خارقي وسطها، فأمر الرسول بالصدقة فاجتمع لهم شيء كثير فسرّ رسول الله لذلك فقال" :من سنَّ في الإسلام ..." الحديث.

القسم الثالث

في وصفه ووصف لباسه ﷺ

لَا خَفَاءَ عَلَى القَطْعِ بِالْجُمْلَةِ أَنَّهُ ﷺ أَعْلَى النَّاسِ قَدْرًا وَأَعْظَمُهُمْ محَلًّا وَأَكْملُهُمْ محاسن وَفضْلًا وَقَدْ ذَهَبْت فِي تَفَاصِيلِ خِصَالِ الْكَمالِ مذْهَبًا جَميلًا شَوَّقَنِي إِلَى أنْ أَقِفَ عَلَيْهَا مِنْ أَوْصَافِهِ ﷺ تَفْصِيلًا, فَاعْلَمْ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبِي وَقَلْبَكَ وَضَاعَفَ فِي هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ حُبِّي وَحُبَّكَ أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى خِصَالِ الْكَمالِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ مُكْتَسَبَةٍ وَفِي جِبلَّةِ الخِلْقَةِ وَجَدْتَهُ ﷺ حَائِزًا لِجَمِيعِهَا مُحِيطًا بِشَتَاتِ محَاسِنِهَا دُونَ خِلافٍ بَيْنَ نَقَلَةِ الْأَخبَارِ لِذَلِكَ بَلْ قَدْ بَلَغَ بَعْضُهَا مبْلَغَ الْقَطْعِ، أما الصُّورَةُ وجمالها تناسب أَعْضَائِهِ فِي حُسْنِهَا فَقَدْ جَاءَتِ الْآثَارُ الصَّحِيحَةُ وَالْمشْهُورَةُ الْكَثِيرَةُ بِذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ وَأَنَسِ بْنِ مالِكٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَالبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وَعَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمنِينَ وَأُمِّ معْبَدٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ أَنَّهُ ﷺ كَانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ أدعج أنجل أشْكَلَ أهْدَبَ الْأَشْفَارِ أَبْلَجَ أَزَجَّ أَقْنَى أَفْلَجَ[6] مُدَوَّرَ الْوَجْهِ واسع الْجَبِينِ كَثَّ اللِّحْيَةِ تَمْلَأُ صَدْرَهُ سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ وَاسِعَ الصَّدْرِ عَظِيم الْمِنْكَبَيْنِ ضَخْم الْعِظَامِ عَبْلَ العَضُدَيْنِ وَالذِّرَاعَيْنِ وَالْأَسَافِلِ رَحْبَ الكَفَّيْنِ وَالْقَدَمِيْنِ سَائِلَ الْأَطْرَافِ أَنْوَرَ المُتَجَرَّدِ دَقِيقَ الْمسْرُبَةِ[7] رَبْعَةَ الْقَدِّ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ

---

[6] (قوله أدعج) الدعج شدة سواد الحدقة (قوله أنجل) أي ذو نجل وهو سعة شق العين (قوله أشكل) هي حمرة في بياض العين كالشهلة في سوادها (قوله أهدب الأشفار) في الصحاح الأهدب الرجل الكبير أشفار العين وهي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر وهو الهدب (قوله أبلج) أي مشرق وفي الصحاح عن أبي عبيدة في حديث أم سعيد أبلج الوجه أي مشرقة ولم ترد بلج الحاجب لأنها وصفته بالقرن (قوله أزج) أي مقوّس الحاجب مع طول وامتداد (قوله أقنى) أي محدوب الأنف (قوله أفلج) من الفلج بفتحتين وهو تباعد ما بين الثنايا.

[7] (قوله سواء البطن) السواء بفتح المهملة والمد: المستوى (قوله عبل العضدين) العبل بفتح المهملة وسكون الموحدة: الضخم (قوله والأسافل) أي الفخذين والساقين (قوله رحب الكفين) بفتح الراء وسكون المهملة أي واسعها (قوله سائل الأَطْرَافِ) أَيْ طَوِيلُ الأصابع (قوله أنور المتجرد) بالجيم والراء المشددة المتفوحتين أي ما تجرد عند الثياب من البدن (قوله المسربة) اي خَيْطُ الشَّعَرِ الَّذِي بَيْنَ الصَّدْرِ وَالسُّرَّةِ.

الْبَائِنِ وَلَا الْقَصِيرِ الـمُتَرَدِّدِ وَمعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ يُماشِيهِ أَحَدٌ يُنْسَبُ إلى الطُّولِ إِلَّا طاله ﷺ رَجِلَ الشَّعْرِ[8] إِذَا افْتَرَّ ضَاحِكًا افْتَرَّ عَنْ مِثْلِ سَنَا الْبَرْقِ وَعَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمامِ، إذا تكلم رؤي كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ ثَنَايَاهُ، أَحْسَنَ النَّاسِ عُنُقًا لَيْسَ بِمُطَهَّمٍ وَلَا مُكَلْثَمٍ مُتَماسِكَ الْبَدَنِ ضَرْبَ اللَّحْمِ، قَالَ البَرَاءُ ما رأيت مِنْ ذِي لِمةٍ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه ما رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ وَإِذَا ضَحِكَ يَتَلأْلأُ فِي الْجُدُرِ وَقَالَ جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: كَانَ وَجْهُهُ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ؟ فَقَالَ لَا بَلْ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمرِ وَكَانَ مُسْتَدِيرًا وَقَالَتْ أُمُّ معْبَدٍ فِي بَعْضِ ما وَصَفَتْهُ بِهِ: أَجْملُ النَّاسِ مِنْ بَعِيدٍ وَأَحْلَاهُ وَأحْسَنُهُ مِنْ قَرِيبٍ وَفِي حَدِيثِ ابْنُ أَبِي هَالَةَ: يَتَلألأ وَجْهُهُ تَلألُؤَ الْقَمرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي آخِرِ وَصْفِهِ لَهُ: منْ رَآهُ بِدِيهَةً هَابَهُ ومنْ خَالَطَهُ معْرِفَةً أَحَبَّهُ يَقُولُ نَاعِتُهُ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ، وَالْأَحَادِيثُ فِي بَسْطِ صِفَتِهِ مشْهُورَةٌ كَثِيرَةٌ فَلَا نُطَوِّلُ بِسَرْدِهَا وَقَدِ اخْتَصَرْنَا فِي وَصْفِهِ نُكَتَ ما جَاءَ فِيهَا وَجُمْلَةً مِما فِيهِ كِفَايَةٌ فِي الْقَصْدِ إِلَى الْمطْلُوبِ.

---

[8] (قوله رجل الشعر) في الصحاح شعر رجل إذَا لَمْ يَكُن شديد الجعود ولا سبطا (قوله إِذَا افْتَرَّ ضَاحِكًا) أي إذا بدا أسنانه حالة أنه ضاحك (قوله حب الغمام) هو البرد (قوله ليس بمطهم) اي المنتفخ الوجه وقيل الفاحش السمن (قوله ولا بمكلثم) اي القصير الحنك الدائري الجبهة المستدبر الوجه، أراد أنه كان أسيل الوجه ولم يكن مستديره قاله ابن الأثير (قوله متماسك البدن) أي يمسك بعضه بعضا (قوله ضرب اللحم) بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء، قال الخليل الضرب من الرجال: القليل اللحم.

الفصل الأول

شعره ﷺ

– عَنْ أنَسِ بْنِ مالِكٍ قَالَ: "كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى نِصْفِ أُذُنَيْهِ".

– عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ لَهُ شَعْرٌ فَوْقَ الْجُمةِ وَدُونَ الْوَفْرَةِ".

– عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مرْبُوعًا، بَعِيدَ ما بَيْنَ الْمِنْكَبَيْنِ، وَكَانَتْ جُمّتُهُ تَضْرِبُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ".

– عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسٍ: كَيْفَ كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: "لَمْ يَكُنْ بِالْجَعْدِ وَلَا بِالسَّبْطِ، كَانَ يَبْلُغُ شَعْرُهُ شَحْمةَ أُذُنَيْهِ".

شيْبه ﷺ

– عَنْ معْمرٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: "ما عَدَدْتُ فِي رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلِحْيَتِهِ إِلَّا أَرْبَعَ عَشْرَةَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ".

– عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمرَ قَالَ: "إِنَّما كَانَ شَيْبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ".

– عَنْ عِكْرِمةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ شِبْتَ، قَالَ: "شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالمُرْسَلَاتُ، وَعَم يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ".

– عَنْ سِماكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: قِيلَ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكَانَ فِي رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْبٌ؟ قَالَ: "لَمْ يَكُنْ فِي رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْبٌ إِلَّا شَعَرَاتٌ فِي مفْرِقِ رَأْسِهِ، إِذَا ادَّهَنَ وَارَاهُنَّ[9] الدُّهْنُ".

كلامه ﷺ

– عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "ما كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْرُدُ سرْدَكُمْ هَذَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَكَلمُ بِكَلَامٍ بَيِّنٍ فَصْلٍ، يَحْفَظُهُ منْ جَلَسَ إِلَيْهِ".

– عَنْ ثُمامةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعِيدُ الْكَلِمةَ ثَلَاثًا لِتُعْقَلَ عَنْهُ".

– عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَأَلْتُ خَالِي هِنْدُ بْنُ أَبِي هَالَةَ، وَكَانَ وَصَّافًا، فَقُلْتُ: صِفْ لِي منْطِقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ دَائِم الْفِكْرَةِ لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، طَوِيلُ السَّكْتِ، لَا يَتَكَلمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، يَفْتَتِحُ الْكَلَام وَيَخْتِمُهُ بِاسْمِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَتَكَلمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، كَلَامُهُ فَصْلٌ، لَا فُضُولَ وَلَا تَقْصِيرَ، لَيْسَ بِالْجَافِي وَلَا المُهِينِ، يُعَظِّمُ النِّعْمةَ، وَإِنْ دَقَّتْ لَا يَذُمُّ مِنْهَا شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَذُمُّ ذَوَّاقًا وَلَا يَمْدَحُهُ، وَلَا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا، وَلَا ما كَانَ لَهَا، فَإِذَا تُعُدِّيَ الْحَقُّ لَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، وَلَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا، إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَبَهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا، وَضَرَبَ بِرَاحَتِهِ الْيُمْنَى بَطْنَ إِبْهَامِهِ الْيُسْرَى، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمامِ.

ذكاءه وقوّة حواسه ﷺ

وَأَما وُفُورُ عَقْلِهِ وَذَكَاءُ لُبِّهِ وَقُوَّةُ حَوَاسِّهِ وَفَصَاحَةُ لِسَانِهِ وَاعْتِدَالُ حَرَكَاتِهِ وَحُسْنُ شَمَائِلِهِ فَلَا مِرْيَةَ أَنَّهُ كَانَ أَعْقَلَ النَّاسِ وَأَذْكَاهُمْ، وَمنْ تَأَملَ تَدْبِيرَهُ أَمْرَ بَوَاطِنِ الْخَلْقِ وَظَوَاهِرِهِمْ وَسِيَاسَةَ العامة والخاصة مع عجب شَمائِلِهِ وَبَدِيعِ سِيَرِهِ فَضْلًا عَما أَفَاضَهُ مِنَ الْعِلمِ وَقَرَّرَهُ مِنَ الشَّرْعِ دُونَ تعلّم

[9] وَارَاهُنَّ: أي أخفاهن

سَبْقٍ وَلَا مُمارَسَةٍ تَقَدَّمتْ وَلَا مُطَالَعَةٍ لِلْكتب مِنْهُ, لَمْ يَمْتَرِ فِي رُجْحَانِ عَقْلِهِ وَثُقُوبِ فَهْمِهِ لِأَوَّلِ بَدِيهَةٍ، وَهَذَا مِما لَا يُحْتَاجُ إِلَى تَقْرِيرِهِ لِتَحَقُّقِهِ وَقَدْ قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: قَرَأْتُ فِي أَحَدٍ وَسَبْعِينَ كِتَابًا فَوَجَدْتُ فِي جَمِيعِهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلًا وأَفْضَلُهُمْ رَأْيًا وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: فَوَجَدْتُ فِي جَمِيعِهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُعْطِ جَمِيعَ النَّاسِ مِنَ الْعَقْلِ فِي جَنْبِ عَقْلِهِ ﷺ إِلَا كَحَبَّةِ رَمْلٍ مِنْ بَيْنِ رِمالِ الدُّنْيَا، وَقَالَ مُجَاهِدٌ كان رسول الله ﷺ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ يَرَى مِنْ خَلْفِهِ كما يَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ. وَقَدْ جَاءَتِ الأَخْبَارُ بِأَنَّهُ صَرَعَ رُكَانَةَ أَشَدُّ أَهْلِ وَقْتِهِ وَكَانَ دَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَصارَعَ أبَا رُكَانَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وكَانَ شَدِيدًا وَعَاوَدَهُ ثَلَاثَ مرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ يَصْرَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وقال أبو هريرة رضي الله عَنْهُ: ما رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ مِنْ رَسُولُ اللَّه ﷺ فِي مشْيِهِ كَأَنَّمَا الْأَرْض تُطْوَى لَهُ.

عقله ﷺ

الْعَقْلُ الَّذِي مِنْهُ يَنْبعثُ الْعِلمُ وَالمعْرِفَةُ وَيَتَفَرَّعُ مِنْ هَذَا ثُقُوبُ الرَّأْيِ وَجَوْدَةُ الْفِطْنَةِ وَالْإِصَابَةُ وَصِدْقُ الظَّنِّ وَالنَّظَرُ لِلْعَوَاقِبِ وَمصَالِحِ النَّفْسِ وَمُجَاهَدَةُ الشَّهْوَةِ وَحُسْنُ السَّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ وَاقْتِنَاءُ الْفَضَائِلِ وَتجَنُّبُ الرَّذَائِلِ، وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَى مكَانِهِ مِنْهُ ﷺ وَبُلُوغِهِ مِنْهُ وَمِنَ الْعِلمِ الْغَايَةَ الْقُصْوَى الَّتِي لَمْ يَبْلُغْهَا بَشَرٌ سِوَاهُ وَإِذْ جلالَةُ محَلِّهِ مِنْ ذَلِكَ ومِما تَفَرَّعَ مِنْهُ مُتَحَقِّقَةٌ عِنْدَ منْ تَتَبَّعَ مجَارِي أَحْوَالِهِ وَاطِّرَادَ سِيَرِهِ وَطَالَعَ جَوَامِعَ كَلَامِهِ وَحُسْنَ شَمَائِلِهِ وَبَدَائِعَ سِيَرِهِ وَحُكْم حَدِيثِهِ وَعِلْمِهِ بِما فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْكُتُبِ المُنَزَّلَةِ وَحِكَم الْحُكَماءِ وَسِيَرِ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ وَأَيَّامِهَا وَضَرْبَ الْأَمْثَالِ وَسِيَاسَاتِ الْأنَامِ وَتَقْرِيرَ الشَّرَائِعِ وَتَأْصِيلَ الْآدَابِ النَّفِيسَةِ وَالشِّيَم الْحَمِيدَةَ إِلَى فُنُونِ الْعُلُومِ الَّتِي اتَّخَذَ أَهْلُهَا كَلامهُ ﷺ فِيهَا قُدْوَةً وَإِشَارَاتِهِ حُجَّةً كَالْعِبَارَةِ وَالطِّبِّ وَالْحِسَابِ والْفَرَائِضِ وَالنَّسَبِ وغَيْرِ ذَلِكَ دُونَ تَعْلِيمٍ وَلَا مُدَارَسَةٍ وَلَا مُطَالَعَةِ كُتُبِ منْ تَقَدَّم وَلَا الْجُلُوسِ إِلَى عُلَمائِهِمْ بَلْ نبي أمّي لم يعرف بشيء مِنْ ذَلِكَ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ وَأَبَانَ أَمْرَهُ وَعَلَّمهُ وَأَقْرَأَهُ، يُعْلمُ ذَلِكَ بِالمُطَالَعَةِ وَالْبَحْثِ عَنْ حَالِهِ ضَرُورَة وَبِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ عَلَى نُبُوَّتِهِ نَظَرًا فَلا نُطَوِّلُ بِسَرْدِ الْأَقَاصِيصِ وَآحَادِ الْقَضَايَا، إِذْ مجْمُوعُهَا ما لَا يَأْخُذُهُ حَصْرٌ وَلَا يُحِيطُ بِهِ حِفْظٌ جَامِعٌ، وَبِحَسَبِ

عَقْلِهِ كَانَتْ معَارِفُهُ ﷺ إِلَى سَائِرِ ما عَلَّمهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَطْلَعَهُ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمِ ما يَكُونُ وَما كَانَ وَعَجَائِبِ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ ملَكُوتِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَعَلَّمكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيما) حَارَتِ الْعُقُولُ فِي تَقْدِيرِ فَضْلِهِ عَلَيْهِ وَخَرِسَتِ الْأَلْسُنُ دُونَ وَصْفٍ يُحِيطُ بِذَلِكَ أَوْ ينْتَهِي إِلَيْهِ.

فصاحته ﷺ

وَأَما فَصَاحَةُ اللِّسَانِ وَبَلاغَةُ الْقَوْلِ فَقَدْ كَانَ ﷺ مِنْ ذَلِكَ بِالْمحَلِّ الْأَفْضَلِ وَالْموْضِعِ الَّذِي لَا يُجهَل سَلَاسَةَ طَبْعٍ وَبَرَاعَةَ منْزعٍ وَإِيجَازَ مقْطَعٍ وَنَصَاعَة لَفْظٍ وَجَزَالَة قَوْلٍ وَصِحَّةَ معَانٍ وَقِلَّة تَكَلُّفٍ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخُصَّ بِبَدَائِعِ الْحِكَمِ وَعُلِّم أَلْسِنَةَ الْعَرَبِ فَكَانَ يُخَاطِبُ كُلَّ أُمةٍ مِنْهَا بِلِسَانِهَا وَيُحاوِرُهَا بِلُغَتِهَا وَيُبَارِيهَا فِي منْزَعِ بَلَاغَتِهَا حَتَّى كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَسْأَلُونَهُ فِي غَيْرِ موْطِنٍ عَنْ شَرْحِ كَلَامِهِ وَتَفْسِيرِ قَوْلِهِ. ومنْ تَأَملَ حَدِيثَهُ وَسِيَرَهُ عَلِم ذَلِكَ وَتَحَقَّقَهُ وَلَيْسَ كَلَامُهُ معَ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَنَجْدٍ كَكَلَامِهِ معَ ذي المشعار الهَمْدَانِيّ وَطِهْفَةَ النَّهْدِيِّ، وَقَطَنِ بْنِ حَارِثَةَ الْعُلَيْمِيّ وَالْأَشْعَثِ بْن قَيْسٍ وَوَائِلِ بْنِ حُجْرٍ الْكِنْدِيّ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَقْيَالِ حَضْرَموْتَ وَمُلُوكِ الْيَمنِ، وَانْظُرْ كِتَابَهُ إِلَى هَمْدَانَ: "إِنَّ لَكُمْ فِرَاعَهَا وَوِهَاطَهَا وَعَزَازَهَا. تَأْكُلُونَ عِلافَهَا، وَتَرْعُونَ عَفَاءَهَا، لَنَا مِنْ دِفْئِهِمْ وَصِرَامِهِمْ ما سَلمُوا بِالْمِيثَاقِ وَالْأَمانَةِ. وَلَهُمْ مِنَ الصَّدَقَةِ الثِّلْبُ[10] وَالنَّابُ وَالْفَصِيلُ وَالْفَارِضُ الدَّاجِنُ وَالْكَبْشُ الْحَوارِيُّ وَعَلَيْهِمُ فِيهَا الصَّالِغُ وَالْقَارِحُ[11] " وَقَوْلُهُ لِنَهْدٍ "قبيلة في اليمن" : (اللَّهُم بَارِكْ لَهُمْ فِي مَحْضِهَا وَمَخْضِهَا وَمذْقِهَا وَابْعَثْ رَاعِيَهَا فِي

---

[10] (قوله فراعها) ما علا من الأرض (قوله ووهاطها) جمع وهط وهو المطمئن من الأرض (قوله عزازها) قال الهروي هو ما اشتد من الأرض وصلب وخشن (قوله علافها) قال الهروي هو جمع علف يقال علف وعلاف كجمل وجمال (قوله عفاءها) قال الهروي هو ما ليس فيه ملك (قوله من دفئهم وصرامهم) الدفء بكسر المهملة وبالفاء الساكنة وبالهمز، والصرام بكسر المهملة وتخفيف الراء قال الهروي معناه من إبلهم وغنمهم وقيل سماها دفئا لأنها يتخذ من أوبارها وأصوافها ما يتدفؤن به (قوله الثلب) قال الهروي هو من الذكور الذى هرم وتكسرت أسنانه.

[11] (قوله والناب) قال الهروي قال أبو بكر هي الناقة الهرمة التي طال نابها وذلك من أمارات هرمها، والفارض الداجن فالفارض المسن من الإبل، والداجن: الدابة التي تألف البيت (قوله الحوارى) قال ابن الأثير منسوب إلى الحور وهي جلود تتخذ من جلود الضأن وقيل هو ما دبغ من الجلود بغير قرظ وَهُو أَحَد مَا جاء على أصله ولم يعل، كتاب، قال الكاشغري في كتابه مجمع الغريب: الحوري المكوي منسوب إلى الحورا وهي كية يقال حوره إذا كواه هذا الكية (قوله الصالغ) قال ابن الأثير هو من البقر والغنم الذي كمن وانتهى سنه في السنة السادسة ويقال بالسين انتهى (قوله والقارح) قال ابن الأثير: لفرس القارح وفى القاموس: القارح من ذوي الحافر بمنزلة البازل من الإبل.

الدَّثْرِ وَافْجُرْ لَهُ الثَّمدَ[12] وَبَارِكْ لَهُمْ فِي الْمالِ وَالْوَلَدِ، منْ أَقَام الصَّلَاةَ كَانَ مُسْلِما، وَمنْ آتَى الزَّكَاةَ كَانَ مُحْسِنًا، وَمنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ مُخْلِصًا، لَكُمْ يَا بَنِي نَهْدٍ ودائع الشِّرْكِ وَوَضَائِعُ المُلْكِ، لا نلطط فِي الزَّكَاةِ وَلَا تُلْحِدْ فِي الْحَيَاةِ وَلَا تَتَثَاقَلْ عَنِ الصَّلَاةِ، وَكَتَبَ لَهُمْ، فِي الْوَظِيفَةِ الْفَرِيضَةَ ولكم الفارض والقريش وَذُو الْعِنَانِ الرَّكُوبُ وَالْفَلُوُّ[13] الضَّبِيسُ، لَا يُمَنَعُ سرحكم وَلَا يُعْضَدُ طَلْحُكُمْ وَلَا يُحْبَسُ دَرُّكُمْ ما لَمْ تُضْمِرُوا الرِّماقَ وَتأْكُلُوا الرِّبَاقَ، منْ أَقَرَّ فَلَهُ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ وَالذِّمةِ وَمنْ أَبَى فَعَلَيْهِ الربوة). وَأَما كَلَامُهُ المُعْتَادُ وَفَصَاحَتُهُ الْمعْلُومةُ وَجَوَامِعُ كَلِمِهِ وَحِكَمِهِ الْمأْثُورَةِ فَقَدْ أَلَّفَ النَّاسُ فِيهَا الدَّوَاوِينَ وَجُمِعَتْ فِي أَلْفَاظِهَا وَمعَانِيهَا الْكُتُبُ، ومِنْهَا مالا يُوَازَى فَصَاحَةً وَلَا يُبَارَى بَلاغَةً كَقَوْلِهِ: (المُسْلمُونَ تتكافؤ دماؤهم ويسعى بِذِمتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى منْ سِوَاهُمْ)، وَقَوْلهُ (النَّاسُ كأسنان المشط) و (المرء معَ منْ أَحَبَّ ولا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ منْ لَا يَرَى لَكَ ما تَرَى له) و (ما هَلَكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قدره) و (المستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لَمْ يَتَكَلَّمْ) و (رحم اللَّهِ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَغَنِم أَوْ سَكَتَ فَسَلِم)، وَقَوْلُهُ (أَسْلِمْ تَسْلَمْ وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مرَّتَيْنِ) وَ (إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مجَالِسَ يَوْم الْقِيَامةِ أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ) وَقَوْلُهُ (لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلمُ بما لا يَعْنيهِ وَيَبْخَلُ بِما لَا يُغْنِيهِ). وَقَالَتْ أُمُّ معْبَدٍ فِي وَصْفِهَا لَهُ حُلْوُ الْمنْطِقِ فَصْلٌ لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ كَأَنَّ منْطِقَهُ خَرَزَاتٌ نُظِمْنَ وَكَانَ جَهِيرَ الصَّوْتِ حَسَنَ النَّغَمةِ ﷺ .

---

[12] قوله (في محضها ومخضها) اللبن الخالص والمخض هو ما مخض من اللبن وأخذ زبده (قوله مذقها) المزج والخلط والمراد هنا اللبن المخلوط بالماء (قوله في الدثر) المال الكثير يقع على الواحد والاثنين والجماعة، قاله ابن الأثير (قوله الثمد) المال القليل

[13] قوله (ووضائع) جمع وضيعة وهى الوضيفة على الملك وما يلزم الناس في أموالهم من الصدقة والزكاة يعنى لا يتجاوزها معكم ولا يزيد فيها وقيل معناه لا يأخذ منكم ما كان ملوككم وضعوه عليكم بل هو لكم والأول يناسبه الملك بكسر الميم والثانى بضمها (قوله تلطط) يقال لط الغريم وألط إذا منع الحق (قوله ولا تلحد) قال ابن الأثير أي لا يحصل منكم ميل عن الحق ما دمتم أحياء (قوله الفريضة) قال ابن الأثير: الفريضة المسنة الهرمة يعنى هي لكم لا يؤخذ منكم في الزكاة ويروى عليكم في الوظيفة الفريضة أي في كل نصاب ما فرض فيه انتهى (قوله الفارض) بالفاء وهى المسنة، وفى بعض النسخ بالعين المهملة وهى الناقة التى يصيبها كسر أو مرض فتخر، والقريش بالفاء والراء المكسورة والمثناة التحتية الساكنة والشين المعجمة قال الهروي قال العتيبى هي التى وضعت حديثا كالنفساء من النساء وقال الأصمعى فرس قريش إذا حمل عليها النتاج لسبع (قوله وذو العنان الركون) العنان بكسر العين المهملة سير اللجام قال ابن الأثير يريد الفرس الذلول لأنه يلجم ويركب (قوله والفلو) المهر، قال أبو بريد إذا فتحت الفاء شددت الواو وإذا كسرتها خففت فقلت فهو مثل جرو، والضبيس بفتح الضاد المعجمة وكسر الموحدة بعدها مثناة تحتية ثم سين مهملة قال الهروي هو العسر الصعب (قوله سرحكم أي ماشيتكم.

ضحكه ﷺ

- عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: "كَانَ فِي سَاقَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُمُوشَةٌ، وَكَانَ لَا يَضْحَكُ إِلَّا تَبَسُّما، فَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قُلْتُ: أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ وَلَيْسَ بِأَكْحَلَ" .
- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ، أَنَّهُ قَالَ: "ما رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّما مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"
- عن أبي ذر رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ": إني لأعلم أول رجل يدخل الجنة وآخر رجل يخرج من النار. يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال له: عملت يوم كذا كذا وكذا وهو مقرّ لا ينكر وهو مشفق من كبارها فيقال أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول إن لي ذنوبا لا أراها ههنا. قال أبو ذر: فقد رأيت رسول الله "ضحك حتى بدت نواجذه"
- ومن ضحكه صلى الله عليه وسلم ما يكون مع الأعراب الغلاظ الشداد، يضحك معهم ليشعرهم بالسعة والرحمة والنعمة التي جاء بها الإسلام، وأن الدين فيه فسحة ورفق ولين، فيقابل الإساءة بالإحسان، والعبوس بالضحك، فعن أنس بن مالك قال: "كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء"

صفة مزاحه ﷺ

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ» قَالَ مَحْمُودٌ: قَالَ أَبُو أُسَامَةَ: "يَعْنِي يُمازِحُهُ".
- عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ قَالَ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُميْرٍ، ما فَعَلَ النُّغَيْرُ؟» قَالَ أَبُو عِيسَى: " وَفِقْهُ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُمازِحُ وَفِيهِ أَنَّهُ كَنَّى غُلَامًا صَغِيرًا فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عُميْرٍ. وَفِيهِ أَنَّهُ لَا بَأْسَ أَنْ يُعْطَى الصَّبِيُّ الطَّيْرَ لِيَلْعَبَ بِهِ. وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : «يَا أَبَا عُميْرٍ، ما فَعَلَ النُّغَيْرُ؟» لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ نُغَيْرٌ يَلْعَبُ بِهِ فَمات، فَحَزِنَ الْغُلَامُ عَلَيْهِ فَمازَحَهُ النَّبِيُّ ﷺ : "يَا أَبَا عُميْرٍ، ما فَعَلَ النُّغَيْرُ؟"
- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا قَالَ: "إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَا حَقًّا".
- عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا اسْتَحْملَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ما أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ ﷺ : "وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَا النُّوقُ".
- عَنِ الْحَسَنِ قَالَ أَتَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «يَا أُم فُلَانٍ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ[14] » قَالَ: فَوَلَّتْ تَبْكِي فَقَالَ: «أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ» إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا}.

[14] قصّة العجوز: من مراسيل الحسن, يقول العلماء "مراسيل الحسن شبهُ الريح وسنده ضعيف", وكان يرسل عن الثقة وغير الثقة. ولا يجوز اعتقاد أن النبي قال هذا الكلام للعجوز وهو يعلم أنها تتأذى. النبي لا يتعمّد إيذاء أحد. ولو كان صحيحًا فمحمول على أن النبي ما عرف أنها لا تفهم المقصود, إنما ظن أنها تفهم المقصود.

الفصل الثاني

لباسه ﷺ

– عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: "كَانَ أَحَبَّ الثِّيَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقَمِيصُ".

– عَنْ أَسْماءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ:"كَانَ كُمُّ قَمِيصِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى الرُّسْغِ".

– عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ :"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَماهُ بِاسْمِهِ عِمامةً أَوْ قَمِيصًا أَوْ رِدَاءً، ثُم يَقُولُ: "اللَّهُم لَكَ الْحَمْدُ كَما كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ ما صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ ما صُنِعَ لَهُ".

– عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ قَالَ: "كَانَ أَحَبَّ الثِّيَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَلْبَسُهُ الْحِبَرَةُ".

– عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَرِيقِ سَاقَيْهِ".

– عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "عَلَيْكُمْ بِالْبَيَاضِ مِنَ الثِّيَابِ لِيَلْبِسْهَا أَحْيَاؤُكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا موْتَاكُمْ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ".

نعله ﷺ

– عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مالِكٍ: كَيْفَ كَانَ نَعْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: "لَهُما قِبالَانِ".

– عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "كَانَ لِنَعْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَالَانِ مثْنِيٌّ شِرَاكهما".

– عَنْ عُبَيْدِ بْنِ جُرَيْجٍ، أَنَّهُ قَالَ لِابْنِ عُمرَ: رَأَيْتُكَ تَلْبَسُ النِّعَالَ السِّبْتِيَّةَ، قَال :"إِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَلْبَسُ النِّعَالَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَعَرٌ، وَيَتَوَضَّأُ فِيهَا، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَلْبَسَهَا".

– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا يَمْشِيَنَّ أَحدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، لِيُنْعِلْهُما جَمِيعًا أَوْ لِيُحْفِهِما جَمِيعًا".

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمالِ، فَلْتَكُنِ الْيَمِينُ أَوَّلَهُما تُنْعَلُ وَآخِرَهُما تُنْزَعُ".

عمامته ﷺ

- عَنْ جابِرٍ قَالَ: "دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مكَّةَ يَوْم الْفَتْحِ وَعَلَيْهِ عِمامةٌ سَوْدَاءُ".
- عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرُو بْنِ حُرَيْثٍ، عَنْ أَبِيهِ، "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ وَعَلَيْهِ عِمامةٌ سَوْدَاءُ".
- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ وَعَلَيْهِ عِصَابَةٌ دَسْماءُ".

إزاره ﷺ

- عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ، كِسَاءً مُلَبَّدًا وَإِزَارًا غَلِيظًا، فَقَالَتْ: "قُبِضَ رُوحُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَيْنِ".
- عَنِ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، عَنْ أَبِيهِ قَال :"كَانَ عُثْمانُ بْنُ عَفَّانَ، يَأْتَزِرُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، وَقَالَ: «هَكَذَا كَانَتْ إِزْرَةُ صَاحِبِي» ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ.
- عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمانِ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَضَلَةِ سَاقِي أَوْ سَاقِهِ فَقَال:"هَذَا موْضِعُ الْإِزَارِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَأَسْفَلَ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَلَا حَقَّ لِلْإِزَارِ فِي الْكَعْبَيْنِ".

القسم الرابع

في وصف عيشه وأخلاقه ﷺ

اعْلَمْ أيُّهَا المُحِبُّ لِهَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ الْبَاحِثِ عَنْ تَفْاصِيلِ جُمَلِ قَدْرِهِ الْعَظِيمِ أَنَّ خِصَالَ الجْمالِ وَالْكَمالِ فِي البَشَرِ نَوْعَانِ: ضَرُورِيٌّ دُنْيَوِيٌّ اقْتَضَتْهُ الجِبِلَّةُ وَضَرُورَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمُكْتَسَبٌ دِينِيٌّ وَهُوَ ما يُحْمدُ فَاعِلُهُ وَيُقَرّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى زُلْفَى، ثُم هِيَ عَلَى فَنَّيْنِ أيْضًا مِنْهَا ما يَتَخَلَّصُ لِأَحَدِ الْوَصْفَيْنِ ومِنْهَا ما يَتَمازجُ ويَتَدَاخَلُ. فَأَما الضَّرُورِيُّ الْمحْضُ فَما لَيْسَ لِلْمرْءِ فِيهِ اخْتِيَارٌ وَلَا اكْتِسَابٌ مِثْلُ ما كان في جملته مِنْ كَمالِ خِلْقَتِهِ وَجَمالِ صُورَتِهِ وَقُوَّةِ عَقْلِهِ وَصِحَّةِ فَهْمِهِ وَفَصَاحَةِ لِسَانِهِ وَقُوَّةِ حواسه وأعضائه وَاعْتِدَالِ حَرَكَاتِهِ وَشَرَفِ نَسَبِهِ وَعِزَّةِ قَوْمِهِ وَكَرَمِ أرْضِهِ وَيِلْحَقْ بِهِ ما تَدْعُوهُ ضَرُورَةُ حَيَاتِهِ إِلَيْهِ مِنْ غِذَائِهِ وَنَوْمِهِ وَملْبَسِهِ وَمسْكَنِهِ وَمنْكَحِهِ وَمالِهِ وَجَاهِهِ، وَقَدْ تَلْحَقْ هَذِهِ الْخِصَالُ الآخِرَةُ بِالْأُخْرَوِيَّةِ إذَا قُصِدَ بِهَا التَّقْوَى وَمعُونَةُ الْبَدنِ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِهَا وَكَانَتْ عَلَى حُدُودِ الضَّرُورَةِ وَقَواعِدِ الشَّرِيعَةِ، وَأما المُكْتَسَبَةُ الْأُخْرَوِيَّةُ فَسَائِرُ الأخلاق العلمية وَالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ والشكر والعدل وَالزُّهْدِ وَالتَّوَاضُعِ وَالْعَفْوِ وَالْعِفَّةِ والْجُودِ وَالشَّجاعَةِ وَالْحَيَاءِ وَالمرُوءَةِ وَالصَّمْتِ وَالتُّؤَدَةِ وَالْوَقَارِ وَالرَّحْمةِ وحُسْنِ الْأَدَبِ وَالمُعَاشَرَةِ وَأَخَواتِهَا وَهِيَ الَّتِي جِماعُهَا: حُسْنُ الْخُلُقِ.

الفصل الأول

في وصف عيشه ﷺ

مشيَته ﷺ

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "وَلَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَما رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ".
- عن عُمرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ موْلَى غُفْرَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحمدٍ، مِنْ وَلَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ إِذَا وَصَفَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "كَانَ إِذَا مشَى تَقَلَّعَ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ".
- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا مشَى تَكَفَّأَ تكَفُّؤًا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ".

جلسته ﷺ

- عَنْ قَيْلَةَ بِنْتِ مخْرَمةَ، أَنَّهَا رَأَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمسْجِدِ وَهُوَ قَاعِدٌ الْقُرْفُصَاءَ قَالَتْ: "فَلَما رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ المُتَخَشِّعَ فِي الجِلْسَةِ أُرْعِدْتُ مِنَ الْفَرَقِ".
- عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ، عَنْ عَمِّهِ، أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ مُسْتَلْقِيًا فِي الْمسْجِدِ وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى.
- عَنْ رُبَيْحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمنِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَال:"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي الْمسْجِدِ احْتَبَى بِيَدَيْهِ".

إتّكاءه ﷺ

- عَنْ جابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُتَّكِئًا عَلَى وِسَادَةٍ عَلَى يَسَارِهِ".
- عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَما أَنَا فَلَا آكُلُ مُتَّكِئًا".
- عَنْ أَنَسٍ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ شَاكِيًا فَخَرَجَ يَتَوَكَّأُ عَلَى أُسامة بْنِ زَيْدٍ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ قِطْرِيٌّ قَدْ تَوَشَّحَ بِهِ فَصَلَّى بِهِمْ".

أكله وشربه ﷺ

- عَنْ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ ثَلَاثًا» قَالَ أَبُو عِيسَى: "وَرَوَى غَيْرُ مُحمدِ بْنِ بَشَّارٍ هَذَا الْحَدِيثَ قَالَ: يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ الثَّلَاث".
- عَنِ ابْنِ كَعْبِ بْنِ مالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْكُلُ بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثِ وَيَلْعَقُهُنَّ".
- حَدَّثَنَا مُصْعَبُ بْنُ سُلَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مالِكٍ يَقُولُ: "أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَمْرٍ فَرَأَيْتُهُ يَأْكُلُ وَهُوَ مُقْعٍ مِنَ الْجُوعِ".
- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ شَرِبَ مِنْ زَمْزَم وَهُوَ قَائِمٌ".
- عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الْإِنَاءِ ثَلَاثًا إِذَا شَرِبَ، وَيَقُولُ: "هُوَ أَمْرَأُ وَأَرْوَى".

تعطّره ﷺ

- عَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُكَّةٌ يَتَطَيَّبُ مِنْهَا".
- عَنْ ثُمامة بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ أَنَسُ بْنُ مالِكٍ، لَا يَرُدُّ الطِّيب، وَقَالَ أَنَسٌ: "إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَرُدُّ الطِّيبَ".
- عَنِ ابْنِ عُمرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ: الْوَسَائِدُ، وَالدُّهْنُ، وَاللَّبَنُ".

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "طِيبُ الرِّجَالِ ما ظَهَرَ رِيحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَطِيبُ النِّسَاءِ ما ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيحُهُ".

نومه ﷺ

- عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَخَذَ مضْجَعَهُ وَضَعَ كَفَّهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ الْأَيْمنِ، وَقَالَ: "رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْم تَبْعَثُ عِبَادَكَ".
- عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «اللَّهُم بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا» ، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانا بَعْدَما أَماتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ".
- عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمعَ كَفَّيْهِ فَنَفَثَ فِيهما، وَقَرَأَ فِيهِما قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ثُم مسَحَ بِهِما ما اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِما رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ وَما أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَصْنَعُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مرَّاتٍ".
- عَنْ أَبِي قَتَادَةَ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا عَرَّسَ بِلَيْلٍ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمنِ، وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ".

تعبّده ﷺ

- عَنِ المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَماهُ فَقِيلَ لَهُ: أَتَتَكَلَّفُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ما تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ؟ قَالَ: "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا".
- عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاللَّيْلِ؟ فَقَالَتْ: "كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ ثُم يَقُومُ، فَإِذَا كَانَ مِنَ السَّحَرِ أَوْتَرَ، ثُم أَتَى فِرَاشَهُ، فَإِذَا كَانَ لَهُ حَاجَةٌ أَلَم بِأَهْلِهِ، فَإِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ وَثَبَ، فَإِنْ كَانَ جُنُبًا أَفَاضَ عَلَيْهِ مِنَ الْماءِ، وَإِلَّا تَوَضَّأَ وَخَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ".

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً".
- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِذَا قَام أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيَفْتَتِحْ صَلَاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ".
- عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: لَأَرْمُقَنَّ صَلَاةَ النَّبِيِّ ﷺ، فَتَوَسَّدْتُ عَتَبَتَهُ، أَوْ فُسْطَاطَهُ "فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُم صَلَّى رَكْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، طَوِيلَتَيْنِ، طَوِيلَتَيْنِ، ثُم صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُما دونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُما، ثُم صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُما دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُما، ثُم صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُما دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُما، ثُم صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُما دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُما، ثُم أَوْتَرَ فَذَلِكَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً".
- عَنْ عَائِشَةَ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُوتِرُ مِنْهَا بِوَاحِدَةٍ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْهَا اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ".
- عن ابي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لو تعلمون ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا).
- عَنْ أَبِي عِيسَى التِّرْمذيّ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي ذر رضي اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: (إِنِّي أرى مالا تَرَوْنَ وَأَسْمعُ ما لَا تَسْمعُونَ أَطَّتِ السَّماءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ما فِيهَا موْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إِلَّا وملَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَما تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ).
- قَالَ عَوْفُ بْنُ مالِكٍ: كُنْتُ معَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَاكَ ثُم تَوَضَّأَ ثُم قَام يُصَلِّي، فَقُمْتُ معَهُ فَبَدَأَ فَاسْتَفْتَحَ الْبَقَرَةَ، فَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ، ثُم رَكَعَ فَمكَثَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ يَقُولُ: سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْملَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمةِ، ثُم سَجَدَ وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ ثُم قَرَأَ آلَ عِمْرانَ، ثُم سُورَةً سُورَةً، يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ.
- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ تَطَوُّعِهِ، فَقَالَتْ: "كَانَ يُصَلِّي لَيْلًا طَوِيلًا قَائِما، وَلَيْلًا طَوِيلًا قَاعِدًا، فَإِذَا قَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ رَكَعَ وَسَجدَ وَهُوَ قَائِمٌ، وَإِذَا قَرَأَ وَهُوَ جَالِسٌ رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ جَالِسٌ".

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ:أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ. قَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ: كان رسول الله ﷺ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ دَائِم الْفِكْرَةِ لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ.
- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، عَنْ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: "كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ رَكْعَتَيْنِ وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ، وَبَعْدَ الْمغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ، وَبَعْدَ الْعِشَاءِ رَكْعَتَيْنِ، وَقَبْلَ الْفَجْرِ ثِنْتَيْنِ".

صومه ﷺ

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ، عَنْ صِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: «كَانَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ صَام، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ قَدْ أَفْطَرَ» . قَالَتْ: "وَما صَام رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهْرًا كَامِلًا مُنْذُ قَدِم الْمدِينَةَ إِلَّا رَمضَانَ".
- عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: "كَانَ يَصُومُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَرَى أَنْ لَا يُرِيدَ أَنْ يُفْطِرَ مِنْهُ، وَيُفْطِرُ مِنْهُ حَتَّى نَرَى أَنْ لَا يُرِيدَ أَنْ يَصُوم مِنْهُ شَيْئًا. وَكُنْتَ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَا رَأَيْتَهُ مُصَلِّيًا، وَلَا نَائِما إِلَا رَأَيْتَهُ نَائِما".
- عَنْ زِرِّ بْن حُبَيْشٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ مِنْ غُرَّةِ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَامٍ وَقَلَّما كَانَ يُفْطِرُ يَوْم الْجُمُعَةِ".
- عَنْ عَائِشَةَ، قَالَت :"كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَحَرَّى صَوْم الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ".
- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "تُعْرَضُ الْأَعْمالُ يَوْم الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَملِي وَأَنَا صَائِمٌ".

بكاءه ﷺ

- عَنْ مُطَرِّفٍ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ".

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسْعُودٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقَرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ {وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا} قَالَ: فَرَأَيْتُ عَيْنَيْ رَسُولِ اللَّهِ تَهْمِلَانِ.
- عَنْ عَائِشَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبَّلَ عُثْمانَ بْنَ مظْعُونٍ وَهُوَ ميِّتٌ وَهُوَ يَبْكِي» أَوْ قَالَ: "عَيْنَاهُ تَهْرَاقَانِ".
- عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ قَالَ: شَهِدْنَا ابْنَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ جَالِسٌ عَلَى الْقَبْرِ فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدمعَانِ، فَقَالَ: «أَفِيكُمْ رَجُلٌ لَمْ يُقَارِفِ اللَّيْلَةَ؟» قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَنَا قَالَ: «انْزِلْ» فَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا.

عيشه وزهده ﷺ

- عَنْ سِماكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ ما شِئْتُمْ؟ "لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وما يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ ما يَمْلَأُ بَطْنَهُ".
- عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "إِنْ كُنَّا آلَ مُحَمدٍ نَمكُثُ شَهْرًا ما نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ، إِنْ هُوَ إِلَا التَّمْرُ وَالْماءُ".
- عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: "شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْجُوعَ وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنا عَنْ حَجَرٍ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ عَنْ حَجَرَيْنِ".
- قال عَمْرِو بْن الْحَارِثِ ما تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا سِلَاحَهُ وَبَغْلَتَهُ وَأَرْضًا جعَلَهَا صَدَقَةً، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَلَقَدْ ماتَ وَما فِي بيتي شيء يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرَ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي وَقَالَ لِي: (إِنِّي عُرِضَ عَلَيَّ أَنْ يُجْعَلَ لِي بَطْحَاءُ مكَّةَ ذَهَبًا فَقُلْتُ لَا يَا رَبِّ أَجُوعُ يَوْما وَأَشْبَعُ يَوْما فَأَما الْيَوْم الَّذِي أَجُوعُ فِيهِ فَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ وَأَدْعُوكَ وَأَما الْيَوْم الَّذِي أَشْبَعُ فِيهِ فَأَحْمَدُكَ وَأُثْنِي عَلَيْكَ).
- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ما أَكَلَ رسول الله ﷺ عَلَى خُوَانٍ وَلَا فِي سُكُرُّجَةٍ وَلَا خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ وَلَا رَأَى شَاةً سَمِيطًا قَطُّ، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إِنَّما كَانَ فِرَاشُهُ ﷺ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ

أَدَما حَشْوُهُ لِيفٌ، وَعَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ مِسْحًا نَثْنِيهِ ثِنْتَيْنِ فينام عليه فَثَنَيْنَاهُ لَهُ لَيْلَةً بِأَرْبَعٍ فَلَما أَصْبَحَ قَالَ: ما فرشتموا لِي اللَّيْلَةَ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ رُدُّوهُ بِحَالِهِ فَإِنَّ وَطْأَتَهُ منعَتْنِي اللَّيْلَةَ صَلَاتِي وَكَانَ يَنَامُ أَحْيَانًا عَلَى سَرِيرٍ مزْمُولٍ بِشَرِيطٍ حَتَّى يُؤَثِّر فِي جَنْبِهِ.

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لم يمتلى جَوْفُ النَّبِيِّ ﷺ شِبَعًا قَطُّ وَلَمْ يَبُثَّ شَكْوَى إِلَى أَحَدٍ.
- عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَجْتَمِعْ عِنْدَهُ غَدَاءٌ وَلَا عَشَاءٌ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ إِلَّا عَلَى ضَفَفٍ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: " قَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ كَثْرَةُ الْأَيْدِي".

الفصل الثاني

في وصف أخلاقه ﷺ

خُلُقه ﷺ

- عن عمرو بن العاص قال: "كان رسول الله ﷺ يقبل بوجهه وحديثه عليّ حتى ظننت أنيّ خير القوم، فقلت يا رسول الله أنا خير أو أبو بكر. فقال: أبو بكر فقلت: يا رسول الله أنا خير أم عمر. فقال: عمر. فقلت: يا رسول الله أنا خير أم عثمان. قال عثمان، فلمّا سألت رسول الله فصدقني فلوددت أنيّ لم أكن سألته"
- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي "أفّ" قطّ؛ وما قال لي لشيء صنعته، لم صنعته، ولا لشيء تركته لم تركته. وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا ولا مسَست خزّا ولا حريرا ولا شيئا ألين من كفّ رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكا قطّ ولا عطرًا كان أطيب من عرق النبيّ ﷺ"
- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: "عن رسول الله ﷺ أنّه كان عنده رجل به أثر صفرة[15] قال: وكان رسول الله ﷺ لا يكاد يواجه أحدًا بشيء يكرهه، فلمّا قام قال للقوم: لو قلتم له يدع هذه الصّفرة"
- عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئا قطّ إلّا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادما ولا امرأة"
- عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قطّ مالم ينتهك من محارم الله شيء، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان من أشدّهم في ذلك غضبا، وما خيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما"

---

[15] صفرة: أي بقية صفرة من زعفران

قال الحسين: سألت أبي عن سيرة النبيّ ﷺ في جلسائه فقال: كان رسول الله ﷺ دائم البِشر، سهل الخلق، لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخّاب ولا فحاش ولا عيّاب ولا مشّاح يتغافل عمّا لا يشتهي، ولا يؤيس منه راجيه، ولا يجيب فيه، قد ترك نفسه من ثلاث: المرّاء والإكثار وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذمّ أحدا ولا يعيبه ولا يطلب عورته، ولا يتكلّم إلّا فيما رجا ثوابه وإذا تكلّم أطرق جلساؤه كأنّما على رؤوسهم الطّير، فإذا سكت تكلّموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلّم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك ممّا يضحكون منه ويتعجّب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في منطقة ومسألته، حتى إذا كان أصحابه ليستجلبونهم"

تواضعه ﷺ

وَأَما تَوَاضُعُهُ ﷺ عَلَى عُلُوِّ منْصِبِهِ وَرِفْعَةِ رُتْبَتِهِ فَكَانَ أَشَدَّ الناس تواضعًا وأعدَمهم كِبْرًا، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ خُيِّرَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا فاختار أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا، فَقَالَ لَهُ إِسْرَافِيلُ عِنْدَ ذَلِكَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَاكَ بِما تَوَاضَعْتَ لَهُ أَنَّكَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَم يَوْم الْقِيَامةِ وَأَوَّلُ منْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ.

- عَنْ عُمرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا تُطْرُونِي كَما أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مرْيَم إِنَّما أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ".
- عن أَنَسِ بْنِ مالِكٍ، أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: "اجْلِسِي فِي أَيِّ طَرِيقِ الْمدِينَةِ شِئْتِ أَجْلِسْ إِلَيْكِ".
- عن أنس بن مالك قال:" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُ الْمرِيضَ، وَيَشْهَدُ الْجَنَائِزَ، وَيَرْكَبُ الْحِمارَ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ، وَكَانَ يَوْم بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى حِمارٍ مَخْطُومٍ بِحَبْلٍ مِنْ لِيفٍ وَعَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ".

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ قَالَ: «لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» قَالَ: "وَكَانُوا إِذَا رَأَوْهُ لَمْ يَقُومُوا، لِما يَعْلمُونَ مِنْ كَرَاهَتِهِ[16] لِذَلِكَ".

- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَقُومُ وَلَا يَجْلِسُ إِلَا عَلَى ذِكْرٍ، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمجْلِسُ وَيأْمُرُ بِذَلِكَ، يُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيبِهِ، لَا يَحْسَبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ، منْ جَالَسَهُ أَوْ فَاوَضَهُ فِي حَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفُ عَنْهُ، وَمنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ، فَصَارَ لَهُمْ أَبًا وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً، مجْلِسُهُ مجْلِسُ عِلْمٍ وَحِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَأَمانَةٍ وَصَبْرٍ، لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرَمُ، وَلَا تُثَنَّى فَلَتَاتُهُ مُتَعَادِلِينَ، بَلْ كَانُوا يَتَفَاضَلُونَ فِيهِ بِالتَّقْوَى، مُتَوَاضِعِينَ يُوقِّرُونَ فِيهِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمُونَ فِيهِ الصَّغِيرَ، وَيُؤْثِرُونَ ذَا الْحَاجَةِ وَيَحْفَظُونَ الْغَرِيبَ.

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلتُ، وَلوْ دُعِيتُ عَلَيْهِ لَأَجَبْتُ".

- عَنْ مُحَمدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: "جَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ بِرَاكِبِ بَغْلٍ وَلَا بِرْذَوْنٍ".

- حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ قَالَ: أَنْبَأَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي الْهَيْثَمِ الْعَطَّارُ قَالَ: "سَمِعْتُ يُوسُفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَّامٍ قَالَ: "سَمانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوسُفَ وَأَقْعَدَنِي فِي حِجْرِهِ وَمسَحَ عَلَى رَأْسِي".

- قِيلَ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها: ماذَا كَانَ يَعْملُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: "كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ، يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ".

---

[16] كان هذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم وحسن معاشرته لهم وهذا لا ينافي القيام لأهل الفضل من الصالحين. ودليل عدم المنافاة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يكره قيام بعضهم لبعض وأنه أمر أسرى بني قريظة فقال لهم: قوموا لسيدكم يعني سعد بن معاذ، وقد قام صلى الله عليه وسلم لعكرمة بن أبي جهل لما قدم عليه ليسلم وكان يقوم لعدي بن حاتم كلما دخل عليه وكان يقوم لعبد الله بن أم مكتوم ويفرش له رداءه ليجلس عليه ويقول: أهلا بالذي عاتبني ربي من أجله. وقد ورد أن الصحابة قاموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

شفقته ورأفته ورحمته ﷺ

وَأَما الشَّفَقَةُ وَالرَّأفَةُ وَالرَّحْمَةُ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ (عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) وَقَالَ تَعَالَى (وَما أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) قَالَ بَعْضُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ فقال (بالمؤمنين رؤف رحيم). لَما كَذَّبَهُ قَوْمُهُ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَما رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ أَمرَ ملكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِما شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَاهُ ملَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّم عَلَيْهِ وَقَالَ: مُرْنِي بِما شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ, قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ منْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَرَوَى ابْنُ الـمُنْكَدِرِ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمرَ السَّماءَ وَالْأَرْضَ وَالْجِبَالَ أَنْ تُطِيعَكَ فَقَالَ: أُؤَخِّرُ عَنْ أُمتِي لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنَ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُما. وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا رَكِبَتْ بَعِيرًا وَفِيهِ صُعُوبَةٌ فَجَعَلْت تُرَدِّدُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عَلَيْكَ بِالرِّفْقِ.

حياءه وإغضاءه ﷺ

الْحَيَاءُ رِقَّةٌ تَعْتَرِي وَجْهَ الْإِنْسَانِ عِنْدَ فِعْلِ ما يُتَوَقَّعُ كَرَاهِيَتُهُ أَوْ ما يَكُونُ تَرْكُهُ خَيْرًا مِنْ فِعْلِهِ وَالْإِغْضَاءُ التَّغَافُلُ عَما يَكْرَهُ الْإِنْسَانُ بِطَبِيعَتِهِ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً وَأَكْثَرَهُمْ عَنِ العَوْرَاتِ إِغْضَاءً. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خذرها، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ وَكَانَ ﷺ لَطِيفَ الْبَشْرَةِ رَقِيقَ الظَّاهِرِ لَا يُشَافِهُ أَحَدًا بِما يَكْرَهُهُ حَيَاءً وَكَرَم نَفْسٍ، وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا بَلَغَهُ عَنْ أَحَدٍ ما يَكْرَهُهُ لَمْ يَقُلْ ما بال فُلَانٍ يَقُولُ كَذَا وَلَكِنْ يَقُولُ ما بَالُ أَقْوَامٍ يَصْنَعُونَ أَوْ يَقُولُونَ كَذَا يَنْهَى عَنْهُ وَلَا يُسَمِّي فَاعِلَهُ.

وَروى أَنَسٌ أَنَّهُ دَخَل عَلَيْهِ رَجُلٌ بِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ فَلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئًا وَكَانَ لَا يُوَاجِهُ أَحَدًا بِما يَكْرَهُ فَلَما خَرَجَ قَالَ لَوْ قُلْتُمْ لَهُ يَغْسِلُ هَذَا، وَيُرْوَى يَنْزِعُهَا: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي الصَّحِيحِ: لَمْ

يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَحَّاشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا سَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَقَدْ حُكِيَ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ عَنِ التَّوْرَاةِ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ سَلَامٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ حَيَائِهِ لَا يُثْبِتُ بَصَرَهُ فِي وَجْهِ أَحَدٍ وَأَنَّهُ كَانَ يُكَنِّي عَما اضْطَرَّهُ الْكَلَامُ إِلَيْهِ مِما يَكْرَهُ، وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ما رأيت فَرْجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَطُّ.

جوده وكرمه ﷺ

أَما الْجُودُ وَالْكَرَمُ وَالسَّخَاءُ وَالسَّماحَةُ ومعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ وَقَدْ فَرَّقَ بَعْضُهُمْ بَيْنَهَا بِفُرُوقٍ فَجَعَلُوا الْكَرَم الإِنْفَاقَ بِطِيبِ النَّفْسِ فِيما يَعْظُمُ خَطَرُهُ وَنَفْعُهُ وَسَمَّوْهُ أَيْضًا جُرْأَةً وَهُوَ ضِدُّ النَّذَالَةِ، والسماحة التجافي عَما يَسْتَحِقُّهُ الْمَرْءُ عِنْدَ غَيْرِهِ بِطيبِ نَفْسٍ وَهُوَ ضِدُّ الشَّكَاسَةِ، وَالسَّخَاءُ سُهُولَةُ الْإِنْفَاقِ وَتَجَنُّبُ اكْتِسَابِ ما لا يُحْمدُ وَهُوَ الْجُودُ وَهُوَ ضِدُّ التَّقْتِيرِ، فَكَانَ ﷺ لَا يُوَازَى فِي هَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمةِ وَلَا يُبَارَى بِهَذَا، وَصَفَهُ كُلُّ منْ عَرَفَهُ. عن سُفْيَانُ عَنِ ابْنِ المُنْكَدِرِ سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: ما سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن شيء فَقَالَ لا. وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسهل ابن سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِثْلَهُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَأَجْوَدُ ما كان في شهر رمضان وَكَانَ إِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ، وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ فَأَعْطَاهُ غَنَما بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ أَسْلمُوا فَإِنَّ مُحَمدًا يُعْطِي عَطَاءَ منْ لَا يَخْشَى فَاقَةً، وَأَعْطَى غَيْرَ وَاحِدٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى صَفْوَانَ مِائَةً ثُم مِائَةً ثُم مِائَةً، وَهَذِهِ كَانَتْ خُلُقَهُ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ وَقَدْ قَالَ لَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: إِنَّكَ تَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمعْدُوم. وَرَدَّ عَلَى هَوَازِنَ سباياها وَكَانَتْ سِتَّةَ آلافٍ وَأَعْطَى الْعَبَّاسَ مِنَ الذَّهَبِ ما لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ وَحُمِلَ إليه تِسعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَوُضِعَتْ عَلَى حَصِيرٍ ثُم قَام إِلَيْهَا فَقَسَمهَا فَما رَدَّ سَائِلًا حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا وَجَاءَهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ فَقَالَ ما عندي شئ ولكن ابتع عَلَيَّ فَإِذَا جَاءَنَا شيء قَضَيْنَاهُ فَقَالَ لَهُ عُمرُ ما كَلَّفَكَ اللَّهُ

مالا تَقْدِرُ عَلَيْهِ فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ ذَلِكَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ "يَا رَسُولَ اللهِ أَنْفِقْ وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي العرش إِقْلالًا" فَتَبَسَّم ﷺ وعُرِفَ الْبِشْرُ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ بِهَذَا أُمِرْتُ. ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَذُكِرَ عَنْ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَ أتيت النبي ﷺ بِقِنَاعٍ مِنْ رُطَبٍ يُرِيدُ طَبَقًا وَأُجْرٍ زُغْبٍ يُرِيدُ قثاء فأعطاني ملء كَفِّهِ حُلِيًّا وَذَهَبًا، قَالَ أَنَسٌ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَدَّخِرُ شَيْئًا لِغَدٍ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ فَاسْتَلَفَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ نِصْفَ وَسْقٍ فَجَاءَ الرَّجُلُ يَتَقَاضَاهُ فَأَعْطاهُ وَسْقًا وَقَالَ (نِصْفُهُ قَضَاءٌ وَنِصْفُهُ نَائِلٌ). وَالْخَبَرُ بِجُودِهِ ﷺ كرمه كَثِيرٌ

شجاعته ونجدته ﷺ

وَأَما الشَّجَاعَةُ وَالنَّجْدَةُ, فَالشَّجَاعَةُ فَضِيلَةُ قُوَّةِ الْغَضَبِ وَانْقِيَادِهَا لِلْعَقْلِ، وَالنَّجْدَةُ ثِقَةُ النَّفْسِ عِنْدَ اسْتِرْسَالِهَا إِلَى الْموْتِ حَيْثُ يُحْمدُ فِعْلُهَا دُونَ خَوْفٍ، وَكَانَ ﷺ مِنْهُما بِالْمكَانِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ قَدْ حَضَرَ الْموَاقِفَ الصَّعْبَةَ وَفَرَّ الْكُماةُ وَالْأَبْطَالُ عَنْهُ غَيْرَ مرَّةٍ وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَبْرَحُ وَمُقْبِلٌ لَا يُدْبِرُ وَلَا يَتَزَحْزَحُ، وما شُجَاعٌ إِلَّا وَقَدْ أُحْصِيَتْ لَهُ فَرَّةٌ وَحُفِظَتْ عَنْهُ جَوْلَةٌ سِوَاهُ.

ذَكَرَ مُسْلِمٌ عَنِ الْعَبَّاسِ قَالَ فَلَما الْتَقَى الْمُسْلمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلمُونَ مُدْبِرِينَ فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرْكِضُ بَغْلَتَهُ نَحْوَ الْكُفَّارِ وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِهَا أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بركابه.

وَقِيلَ كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا غَضِبَ وَلَا يَغْضَبُ إِلَّا لِلَّهِ – لَمْ يَقُمْ لِغضَبِهِ شيء، وَقَالَ ابْنُ عُمرَ ما رَأَيْتُ أَشْجَعَ وَلَا أَنْجَدَ وَلَا أَجْوَدَ وَلَا أَرْضَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّا كُنَّا إِذَا حَمِي الْبَأْسُ وَيُرْوَى اشْتَدَّ الْبَأْسُ وَاحْمَرَّتِ الْحَدَقُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَما يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إلى الْعَدُوِّ مِنْهُ وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْم بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ أَقْرَبُنَا إلى العدو كان مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمئِذٍ بَأْسًا.

وَقِيلَ كَانَ الشُّجَاعُ هُوَ الَّذِي يَقْرُبُ مِنْهُ ﷺ إِذَا دَنَا الْعَدُوُّ لِقُرْبِهِ مِنْهُ.

وَعَنْ أَنَسٍ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَأَجْوَدَ النَّاسِ وَأَشْجَعَ النَّاسِ لَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمدِينَةِ لَيْلَةً فَانْطَلَقَ نَاسٌ قَبْلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَقَدِ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ عَلَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ وَالسَّيْفُ فِي عُنُقِهِ وَهُوَ يَقُولُ لَنْ تُرَاعُوا.

وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ما لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَتِيبَةً إِلَّا كَانَ أَوَّلَ من يَضْرِبُ.

ولَما رَآهُ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ يَوْم أُحُدٍ وَهُوَ يَقُولُ أَيْنَ مُحَمدٌ لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا وَقَدْ كان يقول للنبيﷺ حِينَ افْتَدَى يَوْم بَدْرٍ عِنْدِي فَرَسٌ أَعْلِفُهَا كُلَّ يَوْمٍ فَرَقًا من ذُرَةٍ أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَلَما رَآهُ يَوْم أُحُدٍ شَدَّ أُبَيٌّ عَلَى فَرَسِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاعْتَرَضَهُ رِجَالٌ مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَكَذَا أَيْ خَلُّوا طَرِيقَة وَتَنَاوَلَ الْحَرْبَةَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ الصَّمةِ فَانْتَفَضَ بِهَا انْتِفَاضَةً تَطَايَرُوا عَنْهُ تَطَايُرَ الشَّعْرَاءِ عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إِذَا انْتَفَضَ ثُم اسْتَقْبَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَأْدَأَ مِنْهَا عَنْ فَرَسِهِ مِرَارًا وَقِيلَ بَلْ كَسَرَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلاعِهِ فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ يَقُولُ قَتَلَنِي مُحَمدٌ وَهُمْ يَقُولُونَ لَا بَأْسَ عَلَيْكَ فَقَالَ لَوْ كَانَ ما بِي بِجَمِيعِ النَّاسِ لقتلهم أَلَيْسَ قَدْ قَالَ أَنَا أَقْتُلُكَ وَاللَّهِ لَوْ بَصَقَ عَلَيَّ لَقَتَلَنِي فَمات بِسَرِفَ فِي قولهم إِلَى مكَّةَ.

فصلٌ

قَدْ آتَيْنَاكَ أَكْرَمكَ اللَّهُ مِنْ ذِكْرِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْفَضَائِلِ الْمجِيدَةِ وَخِصَالِ الْكَمالِ الْعَدِيدَةِ وَأَرَيْنَاكَ صِحَّتَهَا لَهُ ﷺ وَجَلَبْنَا مِنَ الآثَارِ ما فِيهِ مقْنَعٌ وَالْأَمْرُ أَوْسَعُ فمجال هذا الْبَابِ فِي حَقِّهِ ﷺ مُمْتَدَّ يَنْقَطِعُ دون نفاده الأدِلَّاءِ وَبَحْرُ عِلْمِ خَصَائِصِهِ زَاخِرٌ لَا تُكَدِّرُهُ الدِّلَاءُ وَلَكِنَّا أَتَيْنَا فِيهِ بِالْمعْرُوفِ مِما أَكْثَرُهُ فِي الصَّحِيحِ وَالْمشْهُورِ مِنَ المُصَنَّفَاتِ واقْتَصَرْنا فِي ذَلِكَ بِقَلِّ مِنْ كُلِّ وَغَيضٍ مِنْ فَيْضٍ وَرَأَيْنَا أَنْ نَخْتِم هَذِهِ الْفُصُولَ بِذِكْرِ حَدِيثِ الْحَسَنِ عَنِ ابْنِ أَبِي هَالَةَ لِجَمْعِهِ مِنْ شَمائِلِهِ وَأَوْصَافِهِ كَثِيرًا وَإِدْماجِهِ جُمْلَةً كَافِيَةً مِنْ سِيَرِهِ وَفَضَائِلِهِ. قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ وَاللَّفْظُ لِهَذَا السَّنَدِ سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ عَنْ حِلْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ وَصَّافًا وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَتَعَلَّقُ بِهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخْما مُفَخَّما يَتَلأْلأُ وجهه تلألُؤَ الْقَمرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ أَطْوَلَ مِنَ الْمرْبُوعِ وأقصر مِنَ المُشَذَّبِ عَظِيم الْهَامةِ, رَجِلَ الشَّعرِ إِنِ انْفَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ فَرَقَ وَإِلَّا فَلا يجاوز شَعرُهُ شَحْمةَ أُذُنَيْهِ إذا هو وفره, أَزْهَرَ اللَّوْنِ وَاسِعَ الْجَبِينِ أَزَجَّ الْحَوَاجِبِ سَوَابِغَ مِنْ غَيْرِ قَرَنٍ بَيْنَهُما عِرْقٌ يُدِرُّهُ الْغَضَبُ, أَقْنَى الْعِرْنَينِ لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ وَيَحْسَبُهُ منْ لَمْ يَتَأَملْهُ أَشَم, كَثَّ اللِّحْيَةِ, أَدْعَجَ سَهْلَ الْخَدَّيْنِ ضَلِيعَ الفم أَشْنَبَ مُفَلَّجَ الْأَسْنَانِ دَقِيقَ الْمسْرُبَةِ كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ بَادِنًا مُتَماسِكًا سَوَاءَ الْبَطْنِ والصدر مشيخ الصَّدْرِ بَعِيدَ ما بَيْنَ الْمنْكِبَيْنِ ضَخْم الْكَرَادِيسِ أَنْوَرَ المُتَجَرَّدِ موْصُولَ ما بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسُّرَّةِ بِشَعَرٍ يَجْرِي كَالْخَطِّ عَارِيَ الثَّدْيَيْنِ ما سِوَى ذَلِكَ أشْعَرَ الذِّرَاعَيْنِ وَالْمنْكِبَيْنِ وَأَعَالِي الصَّدْرِ طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ رَحْبَ الرَّاحَةِ شَثْنَ الكَفَّيْنِ والْقَدَميْنِ سَائِلَ الْأَطْرَافِ أَوْ قَالَ سَائِنَ الْأَطْرافِ وَسَائِرَ الْأَطْرَافِ سَبْطَ الْعَصَبِ خُمْصَانَ الْأَخْمصَيْنِ مسِيحَ الْقَدَميْنِ يَنْبُو عَنْهُما الْماءُ, إِذَا زَالَ, زَالَ تَقَلُّعًا وَيَخْطُو تَكَفُّؤًا وَيَمْشِي هَوْنًا ذَرِيعَ الْمِشْيَةِ إِذَا مشَى كَأَنَّما يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا خَافِضَ الطَّرْفِ نظره إلى الأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّماءِ جُلُّ نَظَرِهِ المُلَاحَظَةُ يَسُوقُ أَصْحَابَهُ وَيَبْدَأُ منْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ.

قُلْتُ: صِفْ لِي منْطِقَهُ. قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ دَائِم الْفِكْرَةِ لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ وَلَا يَتَكَلمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ طَوِيلَ السُّكُوتِ يَفْتَتِحُ الكلام ويختمه بأشداقه وَيَتَكَلمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ

فضلاً لَا فُضُولَ فِيهِ وَلَا تَقْصِيرَ دَمِثًا لَيْسَ بالمجافي ولا المهين يعظم النِّعْمَةَ وَإِنْ دَقَّتْ لا يذم شيئًا لَمْ يَكُنْ يَذُمُّ ذَوَاقًا وَلَا يَمْدَحُهُ وَلَا يُقَامُ لِغَضَبِهِ إذا تعرض للحق بشيء حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ وَلا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَّبَهَا وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا فَضَرَبَ بِإِبْهَامِهِ الْيُمْنَى رَاحَتَهُ الْيُسْرَى, وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمامِ. قَالَ الْحَسَنُ فَكَتَمْتُهَا عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ زَمانًا ثُم حَدَّثْتُهُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ فَسَأَلَ أَبَاهُ عَنْ مدْخَلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمخْرَجِهِ وَمجْلِسِهِ وَشَكْلِهِ فَلَمْ يَدَعْ مِنْهُ شَيْئًا قَالَ الْحُسَيْنُ سَأَلْتُ أَبِي عَنْ دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: كَانَ دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ مأْذُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ فَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى منْزِلِهِ جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ جزءًا لله وجزءًا لأهله وجزءًا لنفسه ثُم جَزَّأَ جُزْأَهُ بينه وَبَيْنَ النَّاسِ فَيَرُدُّ ذَلِكَ عَلَى الْعَامةِ بِالْخَاصَّةِ وَلَا يَدَّخِرُ عَنْهُمْ شَيْئًا فَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الأُمةِ إِيثَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ بِإِذْنِهِ وَقِسْمتُهُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ مِنْهُمْ ذُو الْحَاجَةِ وَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَتَيْنِ وَمِنْهُمْ ذُو الْحَوَائِجِ فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ ويشغلهم فيما يُصْلِحُهُمْ وَالْأُمةَ مِنْ مسألته عنهم وأخبارهم بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ ويقُولُ لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنكُمُ الْغَائِبَ وَأَبْلِغُونِي حَاجَةَ منْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغِي حَاجَتَهُ فَإِنَّهُ منْ أَبْلَغَ سُلْطَانًا حَاجَةَ منْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلاغَهَا ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَميهِ يَوْم الْقِيَامةِ لَا يُذْكَرُ عِنْدهُ إِلَّا ذَلِكَ وَلَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرَهُ.

قَالَ فِي حَدِيثِ سُفْيَانَ بْنِ وَكِيعٍ: يَدْخُلُونَ رُوَّادًا وَلَا يَتَفَرَّقُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَاقٍ وَيَخْرُجُونَ أَدِلَّةً يَعْنِي فُقَهَاءَ قُلْتُ فَأَخْبِرْنِي عَنْ مخْرَجِهِ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إلا مما يُعْنِيهِمْ وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلَا يُفَرِّقُهُمْ يُكْرِمُ كَرِيم كُلِّ قَوْمٍ ويوليه عليهم ويحذر النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ من غَيْرِ أَنْ يَطْوِي عَنْ أَحَدٍ بِشْرَهُ وَخُلُقَهُ وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَما فِي النَّاسِ وَيُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيُصَوِّبُهُ وَيُقَبِّحُ الْقَبِيحَ وَيُوَهِّنُهُ مُعْتَدِلُ الْأَمْرِ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ لَا يَغْفُلُ مخَافَةَ أَنْ يَغْفَلُوا أَوْ يَملُّوا لِكُلِّ حَالٍ عِندَهُ عَتَادٌ لَا يُقَصِّرُ عَنِ الْحَقِّ وَلَا يُجَاوِزُهُ إِلَى غَيْرِهِ الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَعَمُّهُمْ نَصِيحَةً وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ منْزِلَةً أَحْسَنُهُمْ مواساة وموازرة فَسَأَلْتُهُ عَنْ مجْلِسِهِ عَما كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ فَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ وَلَا يُوَطِّنُ الْأَماكِنَ وَيَنْهَى

عَنْ إِيطَائِهَا وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمجْلِسُ وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ ويُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ نصيبه حَتَّى لَا يَحْسَبَ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ منْ جَالَسَهُ أَوْ قَاوِمهُ لِحَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ المُنْصَرِفُ عَنْهُ منْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ فَصَارَ لَهُمْ أَبًا وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ مُتَقَارِبِينَ مُتَفَاضِلِينَ فِيهِ بِالتَّقْوَى وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى صَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَصَبْرٍ وَأَمانَةٍ لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرَمُ، وَلَا تنشى فَلَتَاتُهُ وَهَذِهِ الْكَلِمةُ مِنْ غَيْرِ الرِّوَايَتَيْنِ يَتَعَاطَفُونَ بِالتَّقْوَى مُتَوَاضِعِينَ يُوَقِّرُونَ فِيهِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمُونَ الصَّغِيرَ ويُرْفِدُونَ ذَا الْحَاجَةِ وَيَرْحَمُونَ الْغَرِيبَ فَسأَلْتُهُ عَنْ سِيرَتِهِ ﷺ فِي جُلَسَائِهِ فَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَائِم الْبِشْرِ، سَهْلَ الْخُلُقِ، لَيِّنَ الْجَانِبِ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ وَلَا فَحَّاشٍ وَلَا عَيَّابٍ وَلَا مدَّاحٍ يَتَغَافَلُ عَما لَا يَشْتَهِي وَلَا يُؤْيَسُ مِنْهُ قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ: الرِّيَاءِ، وَالْإِكْثَارِ، وَما لَا يُعْنِيهِ، وَتَرَكَ النَّاسَ مِنْ ثَلَاثٍ: كَانَ لَا يَذُمُّ أَحَدًا، وَلَا يُعَيِّرُهُ وَلَا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ، وَلَا يَتَكَلمُ إِلَّا فِيما يَرْجُو ثَوَابَهُ، إِذَا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطَيْرُ وَإِذَا سَكَتَ تَكَلمُوا لَا يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ الْحَدِيثَ منْ تَكَلَّم عِنْدَهُ أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرُغَ، حَدِيثُهُمْ حَدِيثُ أَوَّلِهِمْ يَضْحَكُ مِما يَضْحَكُونَ مِنْهُ وَيَتَعَجَّبُ مِما يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ وَيَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الْجَفْوَةِ فِي الْمنْطِقِ وَيَقُولُ إِذَا رَأَيْتُمْ صَاحِبَ الْحَاجَةِ يَطْلُبُهَا فَأَرْفِدُوهُ وَلَا يَطْلُبُ الثَّنَاءَ إِلَّا مِنْ مُكَافِئٍ وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَتَجَوَّزَهُ فَيَقْطَعَهُ بِانْتِهَاءٍ أَوْ قِيَامٍ، هُنَا انْتَهَى حَدِيثُ سُفْيَانَ بْنِ وَكِيعٍ.

وَزَادَ الآخَرُ قُلْتُ كَيْفَ كَانَ سُكُوتُهُ ﷺ؟ قَالَ: كَانَ سُكُوتُهُ عَلَى أَرْبَعٍ: عَلَى الْحِلْمِ، وَالْحَذَرِ، وَالتَّقْدِيرِ، وَالتَّفَكُّرِ, فَأَما تَقْدِيرُهُ فَفِي تسوية النظير وَالاسْتِماعِ بَيْنَ النَّاسِ, وَأَما تَفَكُّرُهُ فَفِيما يَبْقَى وَيَفْنَى وَجُمِعَ لَهُ الحِلمُ ﷺ فِي الصَّبْرِ فَكَانَ لا يغضبه شيء يستفزه وجميع لَهُ فِي الْحَذَرِ أَرْبَعٌ: أَخْذُهُ بِالْحَسَنِ لِيُقْتَدَى بِهِ وَتَرْكُهُ الْقَبِيحَ لِيُنْتَهَى عَنْهُ وَاجْتِهَادُ الرَّأْيِ بِما أصْلَحَ أُمتَهُ وَالْقِيَامُ لَهُمْ بِما جَمعَ لَهُمْ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

انْتَهَى الْوَصْفُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ.

القسم الخامس

في صفات الأنبياء

الصّلاةُ والسلامُ على أنبياءِ الله منْ سيدنا ءادمَ إلى سيدنا محمَّدٍ الذينَ جعَلَهُمُ الله تعالى أفضلَ الخلقِ بِدَليلِ قوْلِهِ تَعالى ﴿ وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

النُّبُوَّةُ اشتِقاقُها مِنَ النَّبَإِ أيِ الخَبَرِ لأنَّ النبوَّةَ إخْبارٌ عَنِ الله، أوِ اشتِقاقُها مِنَ النَّبْوَةِ أي الارْتِفاعِ، فالأنبياءُ درجاتُهُمْ مُرْتَفِعَةٌ عاليةٌ. ويَجِبُ اعتقادُ أنَّ كلَّ نبيّ مِنْ أنبياءِ الله يجِبُ أنْ يكونَ متَّصِفًا بالصّدْقِ والأمانةِ والفطانةِ. فأنبياءُ الله أحبابُ الله يستحيلُ عليهمُ الكذبُ لأنَّ ذلكَ نَقْصٌ يُنافي مَنْصِبَ النُّبُوَّةِ. ويستحيلُ عليهِمُ الخِيانَةُ وَهِيَ ضِدُّ الأمانةِ، ويستحيلُ عليهِمُ التَلَبُّسُ بالرذالةِ أيًّا كانتْ كاختلاسِ النَّظَرِ إلى المرأةِ الأجنَبِيَّةِ بِشَهْوَةٍ .ويستَحيلُ عليْهِمُ السفاهةُ كالتلفظ بألفاظٍ شنيعة. ويستحيلُ عليهِمُ البلادةُ وهِيَ ضَعْفُ الفَهْمِ. والبليد لا يفهمُ الكَلامَ مِنَ المرَّةِ الأولى إلا بعْدَ أنْ يُكَرَّرَ عليهِ عِدَّةَ مراتٍ فَهَذا كُلُّهُ يَسْتحيلُ في حقّ الأنبياءِ، فَمَا مِنْ نَبِيّ خائِنٌ أو رَذيلٌ أو سفيهٌ أو بليدُ الذِّهْنِ. والله تعالى حَفِظَهُمْ مِنَ الكُفْرِ قَبْل النُّبُوَّةِ وبَعْدَها وحَفِظَهُمْ مِنَ الكبائِرِ كالزّنى وحَفِظَهُمْ من صغائرِ الخسَّةِ كَسَرِقَةِ حَبَّةِ عِنَبٍ. ولْيُعْلَمْ أنَّ كلَّ الأنبياءِ فُصَحاءُ فليسَ فيهم أرَتُّ وهوَ الذي يكونُ في لسانِهِ عُقْدَةٌ وحَبْسَةٌ ويَعْجَلُ في كَلامِهِ فلا يُطاوِعُهُ لِسانُهُ، وليس فيهم تَأْتاءٌ ولا أَلْثَغُ. والأَلْثَغُ الذي يُصَيّرُ الرَّاء غينًا أو لامًا والسينَ ثاءً مثَلاً.

ويَسْتحيلُ على أنبياءِ الله سبْقُ اللسانِ في الشَّرعيَّاتِ والعاديَّاتِ لأنَّهُ لَوْ جازَ عليهِمْ لارتفعتِ الثّقَةُ في صِحَّةِ ما يقولونَهُ، ولَقالَ قائِلٌ لَمَّا يَبْلُغُهُ كلامٌ عَنِ النَّبِيّ «ما يُدرينا أنَّهُ يكونُ قالَهُ على وجْهِ سبْقِ اللّسانِ » فلا يحصُلُ مِنَ النَّبِيّ أنْ يَصْدُرَ مِنْهُ كلامٌ غيرُ الذي أرادَ قولَهُ. وسبْقُ اللّسانِ هوَ أنْ يَتَكَلَّمَ الإنسانُ بشيءٍ مِنْ غَيْرِ إرادةٍ بل يجري على لِسانِهِ ولم يَقْصِدْ أنْ يقولَهُ بالمرَّةِ.

ويستَحيلُ عليهِمْ أيضًا الجنونُ وتأثيرُ السّحْرِ في عقولِهِمْ، فلا يجوزُ أنْ يُعْتَقَدَ أنَّ الرسولَ قد أثَّرَ السّحرُ في عقْلِهِ. وأنبياءُ الله كلهُمْ كانوا ذوي حُسْنٍ وجمالٍ، ولا يجوز عليهِمُ المرضُ الذي يُنَفّرُ الناسَ منهُم .فقدْ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « :ما بعثَ الله نبيًّا إلا حَسَنَ الوجهِ حَسَنَ الصَّوْتِ وإنَّ نَبِيَّكُمْ أحْسَنُهُمْ وَجْهًا وأحْسَنُهُمْ صَوْتًا. »

وبالنسبة لنبيّ الله أيوبَ فهو لم يُصب بمرض منفر إنما ابتلاهُ الله بلاءً شديدًا استمرَّ ثمانِيَةَ عَشَرَ عامًا وفَقَدَ مالَهُ وأَهْلَهُ ثمَّ عافاهُ الله وأغناهُ ورَزَقَهُ الكثيرَ مِنَ الأولادِ، بعضُ الناسِ الجهَّالِ يَفْتَرونَ عليهِ ويقولونَ إنَّ الدّودَ أَكَلَ جِسمَهُ، على زعمِهِمْ كانَ الدّودُ يَتَساقَطُ ثمَّ يأخُذُ الدّودَةَ ويعيدُها إلى مكانِها مِنْ جِسْمِهِ ويقول:« يا مخلوقَةَ ربِّي كُلي مِن الرِزْق الذي رَزَقَكِ ». فهذا ضَلالٌ وكفر والعياذُ بالله.

إن أنبياءَ الله كلُّهمْ أصحابُ خِلْقَةٍ سويَّةٍ، لم يكن فيهم ذو عاهَةٍ في خِلْقَتِهِ ولم يَكُنْ فيهم أعرَجُ ولا كسيحٌ ولا أعمى، وسيدنا يعقوبُ مِنْ شدَّةِ بكائِهِ على سيدنا يوسُفَ ابيَضَّتْ عيناهُ مِنْ شِدَّةِ حُزنِهِ على وَلَدِهِ يوسفَ، بَكَى بكاءً شديدًا حتّى ابيضَّتْ عيناهُ ثمّ ردَّ الله تعالى عليه بَصَرَهُ لَمَّا أرسَلَ يوسفُ بقميصِهِ مِنْ مِصْرَ إلى البَلدَةِ التي فيها فارتَدَّ بَصيرًا.

وكذلِكَ لا يجوزُ القولُ إنَّ ءادَمَ عليهِ السّلامُ كانَ مُتَوَحّشًا شبيهًا بالقِرْدِ، فمَنْ قالَ ذلكَ فهوَ ليسَ بمُسلِمٍ عندَ الله. قال تعالى في محكَمِ كتابِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة ءال عمران] ، ويقولُ تَعالى في كِتابِهِ العَزيزِ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة].

قَديمًا كانَ البشرُ جميعُهُمْ على دينِ الإسلامِ، في زمَنِ نَبِيّ الله ءادمَ كانوا كلّهُمْ على الإسلامِ لمْ يَكُنْ بَينهُمْ كافرٌ، وإنَّما حدَثَ الشّرْكُ والكفرُ بالله تعالى بعدَ النّبيّ إدريسَ عليهِ السّلامُ، وحَفِظَ الله تعالى أنبياءَهُ أحبابَهُ مِنَ الشّركِ وحَذَّرَ أُمَمَهُمْ مِنَ الشّرْكِ. يقولُ الله تعالى ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الزمر]. يعني الرُّسُل الذينَ جَاءوا بَعْدَ إِدْريسَ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ أيْ لَئِنْ أَشْرَكَ واحِدٌ مِنْ أُمَّتِكَ .﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ أَيْ عَمَلُهُ ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يعني الذي أشرَكَ يكونُ منَ الخاسِرينَ.

فهذا التحذيرُ لأمَمِ الأنبياءِ وليسَ للأنبياءِ، فالأنبياءُ إخوةَ الإيمانِ هم صَفوَةُ الخَلْقِ، الله تعالى فضّلَهُمْ على العالمينَ وحَفِظَهُمْ منَ الكفرِ والكبائرِ وصغائرِ الخسّةِ قبلَ النبوّةِ وبعدَها. فاحذروا إخوةَ الإيمانِ مما يُفْتَرَى على أنبياءِ الله. ومِنْ جُمْلَةِ الافتراءاتِ قول البعض إن سيّدَنا داودَ عليهِ السَّلامُ أرسَلَ قائدَ جيشِهِ إلى معركةٍ ليموتَ فيها ليتزوَّجَ داودُ امرأة هذا القائد، فهذا فاسدٌ مُفْتَرًى لا يليقُ بنبيّ منْ أنبياءِ الله. والله تعالى صانَ الأنبياءَ منَ المَنَفّراتِ كأن تكون أسماؤهم منَ الأسماءِ القبيحةِ الشنيعةِ، الله تعالى عَصَمَ الأنبياءَ منْ أنْ تكونَ أسماؤهُمْ خبيثةً أوْ مشتقَّةً مِنْ خبيثٍ أوْ يُشْتَقُّ منها خبيثٌ .

أختم كتابي هذا بعبارة أرجو أن تكون سببًا لرؤيتك لسيدنا محمد في المنام هذه الليلة.

دعك من همومك وآهاتك .. ما أجمل أن تستيقظ غدًا وقد رأيت النبي في منامك .. ما أجمل أن يناديك باسمك ويمسح بيده على جسدك .. ما أجمل أن يلقاك متبسّما والنور يتلألأ منه .. ويقول لك .. إني أحبك.

الخاتمة

هُنَا انْتَهى القَوْل بنَا فِيما حَرّرْنَاه وانتجز الغرض الَّذِي انْتَحَيْنَاه, أرْجُو أَنّ فِي كُلّ قِسْم مِنْه لِلمُرِيد مقْنَع وَفِي كُلّ باب منْهج إلى بُغْيَتِه وَمنْزَع, وَكَرَعْت فِي مشَارب مِن التَّحْقِيق لَم يُورَد لَهَا قَبْل فِي أَكْثَر التَّصَانِيف مشْرَع وأوْدَعْتُه غَيْر ما فَضْل وَدِدْت لَو وجَدْت من بَسَط قَبْلي الْكَلَام فِيه أَو مقتدى يُفِيدُنِيه عَن كِتابِه أَو فِيه لأَكْتَفَى بِما أرْوِيه عَما أُرَوِّيه وَإِلَى الله تَعَالَى جَزِيل الضَّرَاعَة والمِنَّة بِقَبُول ما مِنْه لوجهه ولعفو عَما تَخَلَّلَه من تَزَيُّن وَتَصَنُّع لِغَيْرِه وأن يَهَب لَنَا ذَلِك بِجَمِيل كَرَمِه وَعَفْوِه لِما أوْدعنَاه من شَرَف مُصْطَفاه وأمين وَحْيه وأسْهَرْنَا بِه جفوتنا لِتَتَبُّع فَضَائِلِه وَأعملْنَا فِيه خَوَاطِرَنا من إبْرَاز خَصَائِصِه وَوَسَائِلِه وَيَحْمِي أعْرَاضَنَا عَن نَارِه المُوقَدَة لِحِمايَتِنَا كريم عرضه ويجعلنا ممن لَا يذاد إذَا ذيد المبدل عَن حوضه ويجعله لَنَا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا بأسبابه وذخيرة نجدها يَوْم تَجد كُلّ نَفْس ما عَملَت من خَيْر مُحْضَرًا نَحُوز بِهَا رِضَاه وَجَزِيل ثَوَابِه ويَخُصَّنَا بِخصِّيصي زُمْرَة نَبِيِّنَا وَجَماعَتِه وَيَحْشرَنا فِي الرّعيل الأوّل وَأَهْل الباب الأيْمن من أَهْل شَفَاعَتِه، ونَحْمدُه تَعَالَى عَلَى ما هَدَى إليْه من جَمْعِه وألْهَم وَفَتَح البَصِيرَة لِدَرْك حَقَائِق ما أوْدَعْنَاه وَفَهَّم، وَنَسْتَعِيذُه جَلّ اسْمُه من دُعاء لَا يُسْمع وعلْم لَا يَنْفَع وَعَمل لَا يُرْفَع فَهُو الجَوَاد الَّذِي لَا يُخَيَّب من أمله وَلَا يُنْتَصَر من خَذَلَه وَلَا يَرُدّ دَعْوَة القَاصِدِين وَلَا يُصْلح عمل المُفْسِدِين وَهُو حَسْبُنا وَنِعْم الْوَكِيل، وَصَلاتُه عَلَى سَيّدنا وَنبيّنَا مُحَمد خَاتِمِ النَّبِيّين وَعَلَى آلِه وصَحْبِه أجْمعِين وَسَلَّم تَسْلِيما كَثِيرًا وَالْحَمْد لله رَبّ، وبه تم الكتاب.

الفهرس